للبنك التجاري الفلسطيني

البنك التجاري الفلسطيني المحدود
The Commercial Bank of Palestine Ltd.

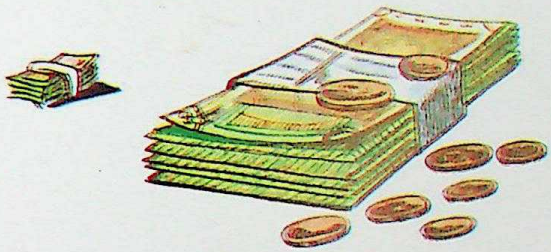

لنحقق معا ...
معجزة اقتصادية
فلسطينية ...

أكثر من ثمانية فروع ومكاتب يتوقع فتحها في العام الأول

دعامة قوية للاقتصاد الوطني

هيرة بريس

المقر المؤقت - رام الله - عمارة الشركة الوطنية العقارية - الشارع الرئيسي

تلفون وفاكس ٩٥٦١٤٦ ص.ب ١٧٩٩

الكاتب

شهرية الثقافة والفنون والاداب

رئيس التحرير المسؤول

اسعد الاسعد

اول الكلام

لا معنى للسلام من غير القدس

تصريحات المسؤولين الاسرائيليين، والزوبعة التي أثارتها حكومة رابين، حول القدس، تشير الى حجم المعركة التي ستدور حول موضوع القدس، ومستقبل القسم العربي من المدينة.

بات واضحاً، أن االاسرائيليين في عجلة من أمرهم، لخلق واقع يصعب معه الحديث عن حل يفضي الى تقسيم المدينة، أو السماح للفلسطينيين بفرض سيطرتهم على أي جزء منها، وإذا علم أن أكثر من ستة آلاف وحدة سكنية، بنيت في القسم العربي، وعلى الاراضي التي أحتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧، لصالح المستوطنين منذ أوسلو وحتى اليوم، ندرك حجم الأمر الواقع الذي تسعى الحكومة الاسرائيلية الى خلقه، ومن ثم الانطلاق منه لفرض أي حل في المستقبل.

الحكومة الاسرائيلية من جانبها، تدرك، أن لا أحد من الفلسطينيين يمكنه أن يقبل بحل يحول بينهم وبين القدس العربية المحتلة، وعليه فان مصير السلام بأسره، يتحدد عبر بوابات القدس فقط.

الكاتب

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- أهمية استقلالية الاعلام في مرحلة البناء الديمقراطي. أسعد الاسعد ٢
- مؤسساتنا العامة .. وتداعيات الأزمة المالية الشاملة. محمد جابر ٣
- حول رفض خدمة الاحتلال. رايـنا مـوس ٥
- رأي نقدي في الوثيقة النظرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. أبو داوود ٨
- قـائـمـة بـأسـمـاء شـهـداء جـدد ١٦
- كيف تنظر الادارة المدنية الى التعليم في الضفة الغربية من خلال مجلة "أضواء على التربية والـتـعـلـيـم صـافـي صـافـي ٢٠
- وراء الـرجـل .. د. أمـيـن الـحـاج يـحـيـى ٢٦
- الارشاد النـفـسي في مرحلة الشيخوخة. شعلان بحر ٢٩
- قراءة نقدية لرواية سحر خليفة (باب الساحة) د. عادل الاسطة ٣٠
- شاعرية عبد القادر العزة انتزعت البسمة من بين أنياب البؤس. حسن عبد الله ٣٧
- الواقـعـية. ما هي، ما كتب فيها؟. ناصر علي ابراهيم ٣٩
- فيلم "القاتلة" وجبة مشبعة بالجنس والدم، والدراما هي الضحية. علي أبو شادي ٤٢
- فريد الاطرش ذلك الفريد في فنه وأخلاقه ... أسرار جديدة. عبد الفضيل طـه ٤٥
- خـاطـرة: الـمـطـر الاسـود. زيـاد عـزت ٤٨
- قـصـة قـصـيـرة: "الـهـبـوط الى سدوم". فلورا اسطفان بقله ٤٩
- شـعـر: سأخلع آخر ما يستر الريش. مـنـيـر ابـراهـيـم، ملامح عربية على جواد فلسطيني. مـحـمـد رشـاد مـحـاميـد ٥٢
- اسـتـراحـة الـعـدد ٥٥

لوحة الغلاف : للفنان جمال الافغاني

المدير الاداري

عدنان الكاشف

العدد (١٥٦) حزيران ١٩٩٤ - السنة الخامسة عشرة -

Al-kateb No. (156) June 1994

الاشتراك السنوي بالدولار

	للافراد	للموءسسات
في البلاد	٢٥ دولار	٥٠ دولار
في الخارج	٥٠ دولار	١٥٠ دولار

المراسلات

القدس تلفون (٠٢-٩٥٢٨٩٠) ص.ب. ٢٠٤٨٩

Jerusalem, Tel: 02952890 P.O. Box 20489

الثمن ٥ شواقل

أهميـــة استقلاليـــة الاعـــلام في مرحلـــة البنـــاء الديمقراطـــي

أسعد الاسعد

في الوقت الذي نحاول أن نؤسس لبناء دولتنا الوطنية المستقلة، وبغض النظر عن فحوى الاتفاق الذي تم بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاسرائيلية، ودون الخوض في قدرة أو عجز هذا الاتفاق عن تحقيق ما تصبو إليه، وما قدمنا لأجله من تضحيات، برز الاعلام بوسائله المختلفة، واحداً من أهم الأسس التي يجب أن تقوم، بوصفها أحد دعائم الاستقلال والتعبير عن الذات.

وحتى يتسنى لهذا الاعلام أن يقوم بدوره هذا، لا بد من توفر جملة من الشروط، إن كنا حقاً نسعى الى قيام كيان ديمقراطي، تقف الحقوق الاساسية للانسان فيه، واحترامها، على رأس أولويات السلطة الوطنية.

ولعل أهم هذه الشروط، استقلالية الاعلام، وعدم ربطها بالسلطة، بأي شكل من الاشكال ، تماماً مثلما نطالب بأن يكون الجهازالقضائي مستقلاً، فان على السلطة الوطنية أن تعي أهمية استقلالية وسائل الاعلام، وعدم هيمنتها عليها.

في أجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، للدول العربية المحيطة بنا، تُسَخّر هذه الاجهزة لخدمة الأنظمة، والدعاية لها. بشكل منفّر، بحيث ينشغل القائمون على هذه الاجهزة، في تحضير برامج لتجميل وجه النظام، وتبييض صفحاته، وإقحام المشاهدين أو المستمعين أو القراء في متابعة خصوصيات المسؤولين من استقبال ووداع وأكل وشرب.

من هنا، ولكي لا يتحول التلفزيون الفلسطيني، أو الاذاعة الفلسطينية، أو الصحافة، الى وسائل اعلام للبلاط، لا بد من معارضة قيام تلفزيون رسمي، أو اذاعة رسمية وكذلك صحافة رسمية، مثلما يجري الان، بل يجب فتح الطريق أمام قيام محطات خاصة، تتنافس على كسب الجمهور، وتحقيق رغباته وتطلعاته، بحيث يصبح شعار "البقاء للأفضل" واقعاً ملموساً.

ولا بد هنا، من التوجه الى الدول المانحة، والتي ملأت الدنيا ضجيجاً حول مساعدات خيالية، دون أن نرى شيئاً من هذا غير الضجيج والكلام المعسول، حيث أنفقت هذه الدول على دراسات وبعثات الاستكشاف وتقصي الحقائق. عشرات أضعاف ما قد يصلنا، وهذا حالهم معنا طوال الوقت، بينما تمتلىء خزانات وحسابات المنظمات الاسرائيلية غير الحكومية بملايين الدولارات القادمة من اوروبا.

على أية حال، لا بد من العودة الى حالنا وأحوالنا، فان كنا بصدد إقامة كياننا الوطني والديمقراطي الفلسطيني، لا بد من تكريس مفاهيم لدى الشارع الفلسطيني، ولدى السلطة الوطنية، لسنا بحاجة الى سلطة اعلامية، أو سلطة على الاعلام.

فالاعلام بحد ذاته سلطة الشعب على قيادته، ويجب تكريس هذا الفهم، والا تحولنا لشكل آخر مطابق لما حولنا من أشكال كثيرة.

إن الاعلام يجب أن يشكل برج مراقبة لكل ما يجري في مجتمعنا، ابتداء من رأس الهرم، وحتى أسفل قاعدته، وان كنا نبحث عن رادع لأي تجاوزات، فليس أقدر من الاعلام الحر والديمقراطي على القيام بذلك.

مؤسساتنا العامة .. وتداعيات

الأزمة المالية الشاملة

محمد جابر

توشك منظمة التحرير الفلسطينية الآن الدخول في مرحلة جديدة تتميز بملامحها الخاصة.. فهي الوعود تحكي عن تنمية إقتصادية واجتماعية وانسانية.

في الوقت ذاته عاشت مؤسساتنا العامة في الداخل والخارج أزمة مالية خانقة لمسها شارعنا الصابر... ففي الوطن المحتل توازت الضغوط على هذا الشارع حتى انتاب مؤسساتنا العامة الكثير من سلوكيات المدّ والجزر، التي بالضرورة لم تكن لتصيب إلا ذوي الدخل المحدود والفرص المحدودة.

أما القائمين على مثل هذه المؤسسات سواء كانت ثقافية أو نسوية أو حتى نقابية، فقد ظلوا يتمتعون بمستوى حياة يسمح لهم ولذويهم بتلبية كافة احتياجات ومتطلبات تراكم الثروة الحرام.

من هنا، فان حدوث الأزمة المالية في المؤسسة وانقطاع رواتب موظفيها مهما قلّ عددهم قد فجّر صراعاً جديداً بين القيميين على المؤسسات وموظفيهم الذين وجدوا أنفسهم عرضة لمزاجية قيم المؤسسة واستهتاره الواضح بالانسان وحقوقه المنقوصة مع سبق اصرار.. وكل ذلك طبعاً من بركات "موضة" التكليفات الرسمية الممهورة بخاتم أولي الأمر.

إن الأزمة المالية التي عاشتها وستعيشها مؤسساتنا العامة قد أبرزت بلا تحفظ الكثير من المؤشرات حول اختلاسات كبيرة وكثيرة ستتفجر مضاعفاتها مع كل يوم جديد في أكثر من مؤسسة وميدان رغم سياسة كاتم الصوت التي يمارسها جلادي الشعب.. كل ذلك يمارس تحت ستار قوافي النضال والتغني بعذابات هذا الشارع المكافح.

وعليه، فان القاعدة العريضة من المتضررين قد أجمعوا على ضرورة إحداث تغيير جذري يتضمن تشكيل لجنة أو لجان لمتابعة قضايا لمتابعة قضايا مؤسساتنا العامة.. التي تتعرض في هذه المرحلة الحرجة بالذات للكثير من الممارسات الفوقية الخارجة عن مقومات النضال ومرحلة النماء الموعود حول تنمية الانسان وموارده.

إن انساننا في الوطن المحتل لم يعد يحتمل كل هذا الصمت، سيما ونفس الرموز ما تزال تعبث بمصائر الناس وقوت يومهم.

واعتماداً على ما سبق، فان ضرورة البحث السريع والعاجل في همّ إنساننا الذي قام وسيقوم بواجباته تجاه مؤسسته وقضيته.. لن تكون ولا تأتي بفرمان من السيد (المرحلة!!) الذي حلّ علينا وعلى مؤسساتنا بكيس من التكليفات والالقاب التي تخوله باقتناص القفل والمفتاح.. ولا يهم الا أن يبقى اسم المؤسسة عنواناً وهمياً لدكان لا يبيع الا الحرام، ولا يكتب إلا الخداع... والفاكس طبعاً سيظل بلا مشاعر ينقل رسائل الفحش التي تنظمها جوقة المتنفذين.

من هنا نوشك أن نسقط في نفق طويل مظلم لا تحمد عقباه، فدائرة الظلم تتدافع لتصبح ضيقة جداً ومتنفذة جداً، فمن يسلم رأسه في هذه الأجواء الحرام التي التجأ فيها إنساننا إلى بيته الشرعي (تنظيمه) الذي سيحميه.. لكن التنظيم أصبح مطواة حادة تشهر في وجه الانسان كأن الباطل حق والحق باطل وكأن مسؤول المؤسسة نبي والشعب كافر.. طبعاً كل ذلك مع ثبوت كامل

قرائن الادانة التي تظهر تورط المسؤول وصديقه وبعضاً من عشيرته.

يا أولي الامر .. إن صوت غضبنا قادم ولن يمنعنا كاتم الصوت المشهر في وجوهنا عن مرافعتنا العادلة في قضية شارعنا الذي سيحرر مؤسساته من سدنة الفاكس وزبانيته الصاغرين أمام القرش وخلوة الحرام.. ومع هذا يظل بيتنا الشرعي (تنظيمنا) ملكاً للعامة التي ستحميه بسواعد الشجعان الذين سيحققون النصر لا الجبناء الذين يستثمرونه بقصيدة تستعطف الوالي وتبجله.

أيها الناس، إن مطالبتنا من جهات المعنية سواء كانت في الداخل أو في الخارج بضرورة تشكيل لجان للدفاع عن مؤسساتنا ومحاسبة المتورطين لم تأتي من فراغ، فهو السيد (المرحلة)!! الذي افترض فيه أن يحاسب المتورطين، هو نفسه الذي يعبث بالقفل والمفتاح وهذا الفاكس الذي نقل أخبار الجنة والعسل واللبن.

فمن سيحاسبه؟!!

يا اولي الامر .. إن إنساننا هو أملنا الباقي في الحفاظ والدفاع عن وجودنا.

فكيف نتجاهله؟!!

كيف نلعب عليه بقرار (تنظيمي) يلزمه بأن يصمت ويرحل عن مؤسسته؟!!

أما التهمة، فهي امتلاكه لدلائل وقرائن تدين المسؤول والسيد المرحلة، هذا الذي افترض فيه أن يحاسب المتورطين!!

يا اولي الامر.. إن التحاق الانسان للعمل في مؤسسته التي خدمها وسيظل يخدمها حق لا يمكن التنازل عنه الا باطلاق النار علينا.

فهل سيصل صوتنا، أم أنها المسافة الفاصلة ما بين القدس وتونس ستسمح للجوقة للمشاركة في إتمام مراسيم الدفن والشجب؟! أعتقد أن "لا" ستظل مشهرة في وجوه كل المارقين.

القدس

١٩٩٤/٣/٣١

كيف يستعدون للمرحلة المقبلة..!

اسرائيلي يؤسس بنكاً للمعلومات حول الاستثمار في الاسواق العربية

يجلس جيل فايلر خلف مكتبه في مقر شركته في مدينة تل أبيب، ويطالع محدثيه بثقة، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة المنتصر، يلتفت الى جهاز الكمبيوتر الموضوع بعناية على زاوية أنيقة مثبتة بجانب المكتب، ثم يسأل محدثه وهو مستثمر أوروبي يدرس آفاق الاستثمار في المنطقة بعد حلول السلام: ما هو البلد الذي تفكر بالاستثمار فيه؟ يختار محدثه اليمن فيما يشبه التحدي، يضغط فايلر وهو خبير اقتصادي في جامعة تل أبيب وأستاذ محاضر فيها- رغم أنه ما زال في الرابعة والثلاثين من عمره على لوحة مفاتيح الجهاز، ثم يسأل عن المنتج الذي يرغب المستثمر بتسويقه في اليمن، يجيبه التاجر الاوروبي: لنقل الحليب مثلاً!.. يعود فايلر الى جهازه ثم يسحب ورقة من طابعة متصلة بجهاز الكمبيوتر ويسلم التاجر ورقة تحوي أسماء مستوردي الحليب بأنواعه في اليمن وأرقام هواتفهم وعناوينهم البريدية يختار الموزع اسماً عشوائياً في القائمة فيزوده جهاز فايلر بملف عنه يحوي معلومات عن المصرف الذي يتعامل معه مستورد الحليب، والشخص المخول بالتوقيع في الشركة.

يتحدث فايلر العربية بطلاقة ويدير ١٠ باحثين متخصصين في المركز يعملون معه جميعهم يتحدث العربية، وكان مرشيه فارتهايم رئيس شركة "كوكا كولا" في اسرائيل قد ساعد فايلر في تحقيق حلمه باقامة مركز للمعلومات المتخصص في الاسواق العربية وسبل الاستثمار فيها.

وتقول مجلة "اسرائيل بزنس ديلي" ان شركة (فايلر - فارتهايم) تمتلك في الوقت الراهن "بنك معلومات" يضم ملفاً كاملاً عن التفاصيل الاقتصادية للأسواق العربية بما فيها قطاعات السوق واتجاهاتها وفرص الاستثمار فيها، والشركات العربية الهامة وأنشطتها وتوجهاتها وأوضاعها المالية.

ويحرص فايلر الذي برزت اهتماماته بالاسواق العربية عندما قدم اطروحة مع اعطاء طابع تجاري مستقل عن أنشطة شركته التي تلفت بشدة انتباه أجهزة الحكومة الاسرائيلية، ويعتقد المحللون أن جزءاً من معلومات فايلر توفر له من الشركات الاجنبية المتخصصة في عمل أبحاث حول الاسواق في المنطقة، الا أن حجم المعلومات المتوافرة لديه ودقتها بحاجة الى استقصاء مباشر لاكمال قاعدة معلوماته الشاملة والاستثنائية حسب وصف المجلة.

ويعتقد فايلر الذي أعد دراسات شاملة بخصوص المقاطعة الاقتصادية العربية لاسرائيل أن شركته ستشكل مدخلاً أساسياً للشركات الاسرائيلية الى الاسواق العربية في مرحلة السلام غير أنه لا ينكر أهمية هذا النوع من المعلومات لتحويل اسرائيل الى قاعدة انطلاق للشركات الغربية باتجاه المنطقة، ويقدر الاسرائيليون أن يتمكنوا من تسويق بضائع بقيمة ملياري دولار سنوياً في الاسواق العربية.

وكان بنك لئومي أكبر البنوك الاسرائيلية أنشأ صندوقاً استثمارياً تصل قيمة رأسماله الى نصف مليار دولار، وطلب البنك من مؤسسة فايلر اعداد دراسة محددة هدفها تعيين الشركات والمجموعات التجارية المستعدة للشروع في التعامل مع اسرائيل.

وطلبت شركة ألمانية مهتمة بالاستثمار في مشاريع البنية التحتية في لبنان من المركز الاسرائيلي اعداد دراسة حول شبكة المجاري الصحية في لبنان، وهناك أمثلة أخرى من هذا القبيل يعرضها فايلر الذي يحاول تسويق خدماته معرباً عن أمله في إصدار صحيفة باللغة الانجليزية عن أسواق العالم العربي في المستقبل مستنداً على قاعدة معلوماته وشبكة اتصالاته.

حـــول رفـض خدمـة الاحتـلال

رايـنـا موس

في الليلة الاولى من عطلة عيد الفصح، قامت الشرطة العسكرية باعتقال (بيتر فينر)، وبعد ذلك بثلاثة أيام تمت محاكمته وسجنه في سجن عسكري، لم تكن تهمته الانتماء إلى عصابات المستوطنين العنصريين في كريات أربع، فهو لم يقم بقلب العربات في سوق الخليل، كما وأنه لم يقم بتعذيب المعتقلين، ولم تكن أيضاً تهمته إطلاق النار على جموع المتظاهرين على مرأى من قوات الجيش الاسرائيلي وكاميرا التلفزيون، ولم يقم كذلك بسكب الحامض على سجاجيد الصلاة في الحرم الابراهيمي، وهو أيضاً لم يقتل التاجر كايد صلاح في دكانه في مدينة الخليل، ولم يعمل على تشكيل وحدات للارهاب ويعمل على مضايقة وتهديد سكان المناطق ويعمل على بعث الدمار والموت بكل الوسائل والسلاح الذي زودها به جيش الدفاع وقت حمايته أصحابهم من الدفاع الاقليمي.

فلو كان قد اقترف أحد هذه الجرائم أو حتى أكبر منها فانه من المحتمل أن يكون الآن في بيته يقضي عطلة عيد الفصح مع ابننا حيث أنه لا يوجد في اسرائيل قاض واحد باستطاعته استخدام قوة القانون ضد المجرمين المتعصبين الذي يذهب ضحيته عادة سكان المناطق. فقد اقترف (بيتر فينر) جريمة أكثر جدية من تحطيم زجاج الحمامات الشمسية فوق المنازل في الضفة الغربية، أو اطلاق النار على الاطفال الهاربين أو على النساء المتظاهرات أو وضع السموم في الحقول التابعة للفلسطينيين. وأيضاً لم يحاصر المنازل ولم يطلق النار على الشرطة فهو ببساطة رفض المشاركة في الاحتلال وطالب بتأدية واجب الاحتياط ضمن الحدود المعترف بها لاسرائيل. ولهذا السبب فقط قاموا بمعاقبته وحوكم بسجن شهر في سجن عسكري مع احتمال التمديد. وهكذا فقد أثبتت قوات الجيش أن يدها تطال مثل هؤلاء المجرمين وهكذا يمكن لسكان اسرائيل أن يهنأوا بالنوم في أسرّتهم.

وحقيقة أن الجيش والشرطة وحرس الحدود والشين بيت لم يعرفوا أو يسمعوا أو يشاهدوا شيئاً يجعلهم يتوقعون حدوث المجزرة (بما فيها تهديد مجلس المستوطنات للجنرال تماري) وأنهم فشلوا في القبض على قيادة المستوطنين المتعصبين في المناطق، وحقيقة فشل جهاز القضاء في ملاحقة هؤلاء (الغولدشتاينيين)، كل ذلك لا يعني أن قوات الأمن غير قادرة على وضع يدها على المجرمين الذين يهددون القانون والامن والديمقراطية في اسرائيل: وهو جندي احتياط يرفض الخدمة في المناطق المحتلة. ولا يهم الآن إذا رأت قوات الأمن أنه لا حاجة لاتخاذ خطوات ضد (الجولدشتاينيين) لأنهم خالفوا القانون وتسلحوا بالموت وأصيبوا بالعمى وأصبح الفرد منهم جيداً حسب العدد الذي قتله، أو حتى اعتبار ضابط الامن في منطقة الخليل المذبحة كفعل تحرر وطني. فقوات الجيش تحاول التمسك بأناس كذلك. ولكن الشخص الذي يحترم الفلسطينيين والذي لا ينوي الخدمة خارج حدود الدولة، والذي يرفض تجاهل قرارات مجلس الأمن (التي تنطبق عندما المحتل هو العراق والدولة المحتلة دولة غنية بالنفط) هو الشخص الذي ترسل إليه قوات الشرطة لاعتقاله في الليل ورميه خلف القضبان.

انه ليس ممكناً في هذه الايام مناقشة حدود الولاء وحق الرفض وربما يمكنني القول هنا أنني أدعم بكل قوتي حق الجنود في رفض اخلاء المستوطنات لأسباب خلقية، وانني متأكدة أنه يوجد متطوعون بقدر كاف لفعل ذلك وعندما تصدر قوات الجيش الأوامر للجنود تمنعهم من اطلاق النار على يهود حتى لو كانوا يقتلون العرب، وعندما تفرض حكومة اليسار نظام منع التجول على الضحية بعد المجزرة، بينما تسمح للجولدشتاينيين ومن يدعموهم بالاحتفال فان أسطورة انه يمكن أن يكون هناك "جندي جيد" يخدم ضمن الاحتلال قد تبخرت. وقد سمعت من أصدقائي في

المناطق حكايات عن الانسانية الحقة حيث قاموا بمساعدة الفلسطينيين وتخفيف حزنهم، وقد استخدموا قبضة قوات الجيش في ممارسة انسانيتهم.

ولكن هذا ليس موجوداً هنا ولا هناك. فالاحتلال يبقى احتلالاً، سواء كان من قبل جنود جفعاتي الذين يهاجمون البيوت ويضربون الفلسطينيين أمام أطفالهم أو آخر لا يتوقف عن التعذيب لساعات طويلة، لأنه مشغول في تقشير البطاطا، أو حتى إذا كان الجندي الذي يوزع بقايا الطعام من مستودعات الجيش الى السكان في غزة الذين قضوا أسابيع تحت نظام منع التجول كعقاب جماعي. فان الصدقة لا تشكل بديلاً عن الاستقلال الوطني ولا الاستقلال عن الاحتلال.

من منا لا يوجد لديه شكوك سواء كانت أخلاقية أو غيرها بخصوص رفض الخدمة في الاراضي المحتلة في أي موقع كان، وحيث اننا قد اتبعنا شعار الجناح اليميني: "صدع الشعب"، وحقاً فان هناك صدع عميق. ولكنها ليست حرباً بين الاخوة لأنهم ليسوا اخوتنا ولا نريدهم. ليس مستوطنو الخليل الذين يرقصون على دماء المصلين العزل، ولا مستوطنو "كيمدوميم" الذين يفتخرون أن الارض الموجودن عليها لم تكن تعود لشخص فلسطيني ولكن من الفلسطينيين بشكل عام لانها "أرض حكومة" - ولكنها فقط لا تعود لحكومتنا. ليس المستوطنون الذين يهتمون "بمستوى ونوعية الحياة"، وليس اولئك الذين يسكنون في الفيلات بجانب مستوطنو الجولان الذين لا يرون سبباً لارجاع السكان السوريين المقتلعين الى أرضهم بينما يرون رجوعهم هم إلى دولتهم هم إبعاداً. لقد فصلوا أنفسهم عن دولة اسرائيل، وعن قوانين الدولة، وعن القوانين الدولية، وقد فصلوا أنفسهم أيضاً عن أي نوع من العدالة الميدانية، وعن المساواة وعن البحث عن السلام وحماية الانسان، وقد أبعدوا أنفسهم عن جميع المفاهيم والاخلاق ووضعوا أنفسهم فوق سكان المناطق الذين يسكنون على أرضهم نحن لا نئوي أن نحميهم أو نخدمهم. ولسنا مستعدين لسجن مئات الآلاف من السكان في منازلهم حتى يتمكن هؤلاء من عبادة المقابر. لسنا مستعدين لمصادرة الاراضي من الاشخاص أو المجتمع، من أجل أن يتمكنوا من بناء الفيلات وبرك سباحة. ولسنا مستعدين لنكون جزءاً من الألف جندي وشرطي الذين يسمحون لعصابات كاهانا وليفنغر لإظهار مفاهيم العنصرية، وإذا لم يكن هناك قوة لدى الحكومة أو نية أو قدرة لازاحتهم من هناك فان أقل شيء يمكننا عمله هو رفض خدمتهم. يكفي أن الضرائب التي ندفعها لتحسين مستواهم المعيشي، ولشراء أسلحتهم ومجلسهم الشرير ولجنة احبارهم المجرمة، ليس من واجبنا أن نشرك حياتنا وأجسادنا.

لقد حذر الحبر شلومو جورين هذا الاسبوع انه سيراق "الكثير من الدم اليهودي" اذا اتخذ قرار بتفريغ المستوطنين من الخليل. هل جورين مستعد لتقديم ابنه أو حفيده ليموت من أجل تل رميضة؟ ربما سيوافق بنيامين نتنياهو للقتال ضد إزالة الغزاة عن مشهد جرائمهم. لقد سمعنا عن "عناة"، مستوطنة من الخليل، تقلب العربات في سوق الخليل بشجاعة، لأنها تعرف أنها لن تعاقب، واضح أنها تعرف اجراءات الجيش أكثر من رئيس الطاقم ورئيس الحكم العسكري، وستكون مصدر عون لهم.

دع مؤيدو لوبافتشر Lubau الذين يطلبون منا أن نقاتل وان لا نتخلى عن انش واحد من الارض المقدسة يتطوعون لهذا العمل، ولكننا لن نكون نحن. لن يصبح ولدي يتيماً من أجل مجموعة من المتعصبين من بروكلين أو أي مجموعة اخرى تستثمر الاحتلال وتضغط على الفلسطينيين من أجل الحصول على الهواء النقي ومنظر للأرض الخضراء، من خلال سياسة الفصل العنصرية الاسرائيلية سواء في الضفة أو غزة أو الجولان.

لقد كان عيد الفصح كئيباً بعض الشيء في بيتنا. لم يكن باستطاعتنا الذهاب الى التنزهات أبداً لأنني أردت أن أكون بجانب الهاتف لأعرف مكان اعتقال زوجي، وثانياً لأسباب اقتصادية لأنه سجين من نوعه لا يتلقى مرتباً أثناء سجنه. وطبيعي لقد كان هناك اشعاعات من الضوء بشكل عشرات الاتصالات الهاتفية والرسائل من أصدقاء وغرباء اللذين عبروا عن دعمهم وقدموا مساعدتهم وجعلونا أكثر قوة. وكان من أبرز تلك الرسائل كان واحدة من ثلاثة أصدقاء من نابلس الذين يبعث اهتمامهم بشخص محكوم لمدة شهر على الدفء والحنان بسبب أنهم جميعاً كانوا قد قضوا أكثر من ربع قرن في الاعتقال بسبب (مقاومتهم للاحتلال:- "إننا نتضامن معك في حزنك ومصابك الذي جاء) بسبب آراءك الديمقراطية والانسانية. وإننا لنأسف أن أناساً مثلكم يسجنون بسبب أنهم يحبون الحرية والسلام. ان وجودكم يعكس الوجه الآخر لاسرائيل، وجه السلام، الذي نتعرف عليه ونشترك معه في معسكر السلام الفلسطيني الاسرائيلي، مع أملنا بالافراج عنك فوراً".

إن الذين كتبوا الرسالة لم يذكروا أنهم أنفسهم كانوا تحت نظام منع التجول، مما جعلهم غير قادرين على العمل أو مغادرة منازلهم، وكان لديهم الكثير من الوقت لكتابة الرسائل بالعبرية ومناقشة تضحية اسرائيلي كان مستعداً لأن يسجن على أن يخدم الاحتلال.

لا... انها ليست حرباً بين الاخوة ولكنها حرب مشتركة لمناهضي العنف والقتل

والاحتلال، فلسطينيين واسرائيليين ضد أعداء السلام والحياة نفسها. إذا كان هناك فلسطينيون من بينهم شخص فقد أخاه الأصغر في الانتفاضة وآخر أمضىّ شبابه في السجن يرفضون الانضمام إلى الكراهية العمياء والغضب الناتج عن الاحتلال، دعونا أيضاً نرفض دعم الاحتلال. ليس مثل أولئك الغوغائيين الذين يخرجون في ظلام الليل لاحراق منازل الفلسطينيين وتحطيم زجاج منازلهم، والذين يطلقون النار من أجل القتل.

يجب علينا دفع ثمن ونحن سندفعه بسرور مرات عديدة. وذلك لافشال "النجاح في القتل" ولا "أن نموت من أجل الخليل" أو غزة أو قلقيليه أو مجدل شمس.

وأخيراً... بعد هذه الكلمات التي لا تصدر الا من قلب ملأه حب السلام العادل ورفضه لظلم المجسد باحتلال شعب لشعب آخر. لا يسعنا الا أن نشد على يدي هذا الجندي الشجاع (بيتر وينر) وزوجته الانسانية (راينا موسى) وكل البيتريين من محبي السلام داخل الشعب الاسرائيلي.

ملاحظة: لإعلان التضامن والتأييد لهذا الرجل يمكن ارسال الرسائل على العنوان التالي:-

الرقيب بيتر وينر (Peter Wienner)
ص. ب العسكري 03734
قوات جيش الدفاع الاسرائيلي (IDF)
اسرائيل

"ستر ليل"
الديوان الثالث
للشاعرة انيسة درويش

عن دار الكاتب، صدر للشاعرة انيسة درويش ديوانها الثالث بعنوان " ستر ليل "، حيث تضمن ثلاثا وخمسين قصيدة، في مئة وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط، وكان صدر للشاعرة ديوان "صفعات وقبل" وكذلك "وأهون عليك".

تمتاز قصائد الديوان، بشفافية تنم عن مشاعر جياشة، عامرة بالحب الانساني الرقيق، انيسة درويش شاعرة تفيض بالحب وتمتلىء بالاحاسيس الصادقة، وهذا بعض ما عندها، ولا بد منم انتظار فيضها، تقول في قصيدتها التي حمل الديوان عنوانها:

وقع اقدام وخطوة
وتشابك الايدي والليل ساه
راح يحلم بالصبايا...سابحا
في حضن غفوه
خطوة تعقب خطوة
واحتكاك الكف بالكفين صحى
راقدا بين الضلوع تمطى
بعد حرمان وجفوه

رأي نقدي في الوثيقة النظرية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أبو داوود

مما يؤسف له أن ينهار الاتحاد السوفييتي ومنظومته على هذا الشكل وبهذه الصورة، فانهياره سبب من المشاكل والازمات الشيء الكثير جداً. ومع أن انهياره كان أمراً طبيعياً، بمعنى أن دولة بيروقراطية كبيرة تقوم على إرث ثورة اشتراكية، كان لا بد لها إما أن تتحول الى جادة الصواب عبر ثورة سياسية على صعيد البنية الفوقية وتعود إلى المنهج الماركسي اللينيني الصحيح، وإما أن تنهار وتتقهقر إلى الرأسمالية وأية رأسمالية؟ رأسمالية تابعة للدول الامبريالية، تماماً مثل كل الراسماليات التابعة في الدول "النامية". ومع أن انهيارالاتحاد السوفييتي أدى إلى انهيار كل من اتكأ عليه من أحزاب شيوعية ومنظمات ماركسية، الا أن ذلك الانهيار قام بدور المصفاة التي نخلت كل من يدعي الماركسية والاشتراكية وهم بعدد النجوم، فاصلة الثوريين الحقيقيين وهم قلة قليلة عن الدجالين والكذابين والمتسلقين على التراث الثوري الماركسي، الذين كما يقول المثل الصيني كانوا يهزون راية الثورة بعنف من أجل إسقاطها. والذين غيروا بسرعة البرق راياتهم وشعاراتهم، وأسماء تنظيماتهم ومبادئهم، ولم يبقوا الا على قياداتهم العتيقة الهزيلة وعلى أنظمتهم الداخلية الدكتاتورية.

أما الثوريين الحقيقيين وهم نزر يسير كما ذكرنا أعلاه، فقد اكتشفوا إلى أي حد كانوا على خطأ سابقاً وراجعوا وانتقدوا أنفسهم بشدة، وعقدوا العزم على تطوير النفس والبحث الصادق عن الحقيقة الثورية، تلك القلة القليلة التي رفضت أن تتحول وبسرعة إلى خدم وحشم ومأجورين لدى دوائر المخابرات الامريكية والاوروبية لقاء الفتات، رفضت أن تبيع أوطانها ومبادئها وأبنائها لقاء أوهام ودولارات.

إنه ليسعدني هنا أن أقدم من خلال هذه الوريقات بعض من تعليقاتي على الوثيقة النظرية لتنظيم فلسطيني يساري ينتمي للقلة القليلة، تنظيم قرر أن يظل على درب الكفاح وكل همه أن يتحول لحزب ثوري اشتراكي يساهم ما أمكنه في تحرير شعبه ووطنه، ويكافح ضد بربرية الرأسمالية والامبريالية. قد نلتقي وقد نختلف، ولكن نظل في نفس الخندق أمام نفس العدو الامبريالي الذي يتدحرج نحونا كحجر الرجى محاولاً إبادتنا وإبادة شعبنا وحقوقنا وطموحاتنا. وأنا لعلى ثقة من أن المستقبل لنا ولأولادنا ولكل الشعوب المناضلة.

الماركسية بين الجمود العقائدي...

«.... الا أن غياب لينين مفكر حزب البلاشفة وقائد ثورة اكتوبر اثرّ سلباً على إمكانية تطوير النظرية وخاصة أن وفاته ترافقت مع تعقد الظروف المحيطة.... فقد ساهمت هذه الظروف والصعوبات الذاتية والموضوعية في إجهاض إمكانية تطوير الماركسية نظرية الثورة الاشتراكية....»

صحيح أن لينين كان قدر روسيا في بداية هذا القرن، كان الجزء الاكثر أهمية في العنصر الذاتي لثورة اكتوبر، ومن ينسى فليتذكر حال الحزب قبل نيسان ١٩١٧ عندما سيطر عليه ما كان يعرف ب«الحرس القديم» وعلى رأسهم ستالين، فصحافة وأدبيات الحزب البلشفي آنذاك تشير إلى أن الحزب كان ملتقياً مع المناشفة في أمور كثيرة بل أن المناشفة كادوا أن يفوقوا البلاشفة راديكالية إن جاز التعبير، آنذاك. من ينسى فليتذكر خطاب لينين في محطةالقطارات في نيسان ١٩١٧ إثر عودته من ألمانيا الى روسيا الثورة التي كانت تحكمها آنذاك الحكومة المؤقتة بزعامة كيرنسكي، ذلك الخطاب الذي قلب به الحزب البلشفي رأساً على عقب ودعا لاعادة تسليحه فكرياً. لقد عارض لينين كل «الحرس القديم»، كل قيادة الحزب وقلبهم رأساً على

عقب، وسيرهم يساراً بقوته الذاتية.

مع ذلك لم يكن لينين المفكر الوحيد داخل الحزب البلشفي خصوصاً في أكتوبر وما بعد اكتوبر، ولم يكن قائد الثورة الوحيد، فرغم اعتراف كل البّلاشفة آنذاك وعلى رأسهم تروتسكي بعبقرية لينين الثورية الفذة، وكذلك الحال بالنسبة لكولنتاي وبوخارين وغيرهم الا أنهم لم ينظروا إليه على أنه «النبي المعصوم عن الخطأ» والممسك بناصية الحقيقة، بل قارعوه بالحجة وطرحوا عليه وجهات نظرهم ونظرياتهم. إن ديمقراطية البلاشفة أيام أكتوبر وبعد اكتوبر لم تضاهيها أية ديمقراطية برجوازية، لقد كانت ترتفع الاصوات ضد لينين حتى درجة الشتيمة. لا لم يقدس لينين الا بعد موته وبعد صعود ستالين إلى سدة الحكم. إن غياب لينين بعد موته لم يقصم ظهر تطوير النظرية، فتطوير النظرية انتقل إلى آخرين لم تكن تنقصهم العبقرية، لكن تلك التطويرات تم دفنها ودفن أصحابها وتم على يد الامين العام الجديد قصم ظهر تطوير النظرية والمطورين.

كذلك فان "تعقد الظروف والصعوبات الذاتية والموضوعية" لم تساهم "في إجهاض إمكانية تطوير الماركسية"، فالماركسية هي الوريث الشرعي لخير ما أبدعته البشرية ومن تلك الابداعات نظريات آباء الاشتراكية الذين قضوا نحبهم في سجون أوروبا الرجعية، واللينينية وإضافات تروتسكي وغيره تم إبداعها في رحم المعاناة وظروف السجن والقهر والنفي والتجمد السيبيري ان من الخطأ الاعتقاد والقول بأن الظروف الصعبة تساهم في إجهاض تطوير النظرية الماركسية، فالعكس هو الصحيح وهو أن الظروف الصعبة تستحث الثوريين لتطوير أنفسهم ونظرياتهم لمجابهة الوقائع الجديدة.

صحيح أن البيروقراطية الستالينية نشأت أثناء وجود لينين على قيد الحياة حيث كان يشير إلى خطورة نموها، الا أن مسألة التحول النوعي لنموها وترعرعها وفيما بعد سيطرتها كمنت في تسليم الحزب البلشفي وبموافقة لينين للأمانة العامة لستالين وانعقاد المؤتمر العاشر عام ١٩٢١ إبان ذروة خطر الحرب الاهلية، حيث أن قرارات ذلك المؤتمر خصوصاً الدعوة لمنع التكتلات داخل الحزب، مكنت ستالين من تحقيق نبوءة تروتسكي عام ١٩٠٣ الذي قال أن الحزب البلشفي سيختزل الطبقة العاملة في الحزب واللجنة المركزية تحل محل الحزب والامين العام يحل محل اللجنة المركزية والمكتب السياسي. لقد تحققت نبوءة تروتسكي المشئومة لأن لينين مات بعد إخراج الجني من القمقم أثناء المؤتمر العاشر فتلقف ستالين ذلك "الجني" الا وهو منع التكتلات، أو بالاحرى القضاء على ديمقراطية البلاشفة التي عمرت ١٨ سنة ومرت في تجارب ثورات ١٩٠٥ وشباط واكتوبر ١٩١٧.

جاء في ص١٨٤ «وإذا استطاعت الستالينية أن تصفي خصومها مع ممن كان لهم إسهامهم النظري في إنتاج وإعادة إنتاج الفكر الماركسي والاشتراكي وخاصة تروتسكي وبوخارين وكامينيف..»

هذا اعتراف يبشر بالخير بأن تروتسكي «رجس الارجاس» سابقاً، قد تم الاعتراف به من قبل الماركسيين الثوريين في فلسطين بأنه كان له اسهام في انتاج وإعادة انتاج الفكر الماركسي، وأيضاً الحال بالنسبة لبوخارين وكامينيف . أما السؤال الان فهو لماذا لم تتضمن الوثيقة النظرية دعوة صريحة لدراسة أعمال هؤلاء، تلك الاعمال التي حكم عليها ستالين ومن خلفه ومن تبعه حتى الانهيار، بالهرطقة والخيانة، ويكفي ذلك الكراس المشؤوم المدعو "التروتسكية خصم الثورة لسوبوليف" الذي أصدرته دار التقدم والذي لوح به رفاق الشعبية وغير الشعبية كثيراً في وجه الشيوعيين الثوريين الذين ناصروا تروتسكي ودعوا لدراسة بوخارين...

الا تستأهل القضية دعوة صريحة من هذا النوع، أم ان هناك دعوة شبيهة في وثائق داخلية للجبهة؟..

جاء في نفس الصفحة ".. لقد شوهت الماركسية ونظرية البناء الاشتراكي شر تشويه.." هذا كلام صحيح مئة بالمئة، لكن حبذا لو تمت الاشارة إلى تلك التشويهات ولو باختصار شديد، فهذه التعميمات وأن صدقت لا تغني.

لقد أشار تروتسكي منذ زمن طويل إلى الكثير الكثير من التشويهات والتزييفات والمراجعة ورد وفند وعلق على كل نقطة ودحض كل تشويه نظري وقعت عليه عيناه وسمعته أذناه، فلماذا لم تشيروا ولو لنظرية واحدة محددة وقعت تحت حراب وفؤوس التشويه والمراجعة؟ جاء في ص١٨٤ «غير أن الحديث السابق عن الستالينية ومسؤوليتها الاساسية عن نشوء وسيطرة البيروقراطية على أجهزة الحزب والدولة وإدخال الفكر الماركسي في دائرة الجمود العقائدي لا يجب أن يغيب الجوانب الايجابية المشرقة في التجربة الستالينية، فقد قاد ستالين البلاد ... تمكنت القيادة الستالينية من حماية الثورة الاشتراكية ... تحت قيادة ستالين ... الخ". هذه مشكلة فعلاً يقع فيها كثير من الماركسيين الثوريين سواء كانوا أفراداً أم أحزاب، وهي الانحناء بشكل أو بآخر للجوانب "الايجابية المشرقة" للستالينية.

حبذا لو قرأ كارل ليبكخنت وروزا لوكسمبرغ هذا الكلام وقارناه بما يمكن أن يقال عن (أفضال) بسمارك في توحيد المانيا.. أو يا حبذا لو قرأ هذا الكلام المارشال جيكوف كيف يمكن أن تكون ردة فعلهم؟

إنه وعلى الرغم من أن تجربة الاتحاد السوفييتي لا يمكن اختزالها بستالين والستالينية، وعلى الرغم من الرفض المستنكر للهجوم الليبرالي الامبريالي والبرجوازي على الستاليين وعلى التجربة الثورية في روسيا، ومسألة محاربة الستالينية بالليبرالية التي يلوح بها أصحاب الشهادات العليا في فلسطين وأعضاء الوفود التفاوضية، ومتقني اللغة الانكليزية، على الرغم من رفضنا لكل هذا، الا أن الحقيقة يجب أن تقال. لم يعد هناك ما يمكن الخوف عليه، الا مواقفنا الثابتة ومبادئنا الوطيدة وروحنا الكفاحية.

إن الستالينية حينما قادت الاتحاد السوفييتي في الحرب. إنما قامت بذلك للدفاع عن نفسها ومكاسبها تماماً كما تدافع القطة عن عشائها، تماماً كما دافع ديغول عن فرنسا، وحتى لو اتفقت معكم في أن التجربة الستالينية كان لها "ايجابية مشرقة" أفلا ترون معي أن تلك "الايجابية" تذوب أمام حقيقة أن الستالينية قد حفرت قبر الاشتراكية وصنعت تابوت الاتحاد السوفييتي وقتلته بعد ذلك. ان خروشوف وبريجينيف وشيرننكو وغورباتشوف، وحتى يلتسين، هم التطور الطبيعي لستالين. إنهم الثمار التي زرع ستالين بذورها، إنهم أبناء وأحفاد "فوج لينين" إن كنتم تذكرون ذلك "الفوج" المشؤوم.

إن القيادة الستالينية التي سلمت الشيوعيين الالمان لأفران الغاز الهتلرية بعد فرارهم من المانيا ولجوئهم "لوطن لينين" لا يمكن أن تدافع عن ذلك الوطن باخلاص ثوري، بل باخلاص مصلحي فئوي "المصلحة البيروقراطية".

لقد قادت "عبقرية" ستالين العسكرية كما يقول جيكوف في مذكراته رغم معارضة جيكوف والقيادة العسكرية السوفييتية، قادت مليون جندي سوفييتي للوقوع في كماشة الجيش الالماني وإبادتهم. كلا لم تحم القيادة الستالينية الثورة الاشتراكية ولا حمت الاتحاد السوفييتي، بل ان التضحيات الهائلة للشعب السوفييتي ولجنود وضباط الجيش الاحمر وشهداء الانصار هي التي حمت الاتحاد السوفييتي. لقد تقاطعت مصلحة الستالينية مع مصلحة الشعب السوفييتي والثورة الاشتراكية، ولكن لم تتطابق معها. ولو فرضنا أن ستالين مات إبان الحرب، فهل يعني هذا ان الاتحاد السوفييتي كان سيخسرها؟!

وحتى لو عدنا لمرحلة ما قبل الحرب، أي مرحلة التصنيع التي قادها ستالين وبيروقراطيته، ما الوجه المشرق فيها، هل هي مشرقة لأن ستالين كان امبراطوراً متطوراً أكثر من القيصر نيقولا، بحيث دفع البلاد للتصنيع، وما الفرق ما بين ستالين في هذا وما بين أباطرة اليابان الذين قرروا تصنيع اليابان. صحيح أن التاريخ لم يمنح عالمنا العربي أمبراطوراً قومياً يوحد هذا الشتات ويدفع به نحو التصنيع. وهذه هي عقدة مفكرينا القوميين البرجوازيين والماركسيين على حد سواء، ولكن لو منحنا أمبراطوراً كهذا هل سنتحدث عنه بأنه هو واضع اللبنات الاول للاشتراكية الثورية العربية؟!

لقد مات ستالين منذ زمن طويل ومات لينين كذلك وتروتسكي مات وبوخارين وزينوفييف وكولونتاي وحتى ماركس ولن يحيى أي نقد أي منهم، لكن الحقيقة التي يعتقد كل واحد منا أنه مضطلع على بعض أو معظم أو كل جوانبها يجب أن تقال ليس لمصلحة لينين أو تروتسكي أو ستالين أو غيرهم وليس لمصلحة التاريخ السابق، بل لمصلحة حاضرنا ومصلحة مستقبلنا، لا مجال هنا للعقد النفسية والكراهية "الشخصية" وللحقد الاعمى، بل المجال كله لمصلحة مواجهة البربرية التي تسيطر على العالم وتنذر بالكوارث لنا ولاولادنا ولكل الجنس البشري.

ومع أن هناك حاجة اليوم لتحالف ثوري عريض يضم ماركسيين (تروتسكيين، ستالينيين، ماويين، غيفاريين... الخ) وقوميين وعلمانيين أو غير علمانيين، بل يضم كل من يرى في الامبريالية وتفرعاتها وتلامذتها وخدمها وحشمها خطراً على البشرية وعلى واقعنا ومستقبلنا، الا أن الأمر لا يمنع من وضع النقاط على الحروف. فالنقد في الوحدة، والوحدة في النقد. ورد ص١٨٦ «ويمكننا تمييز تيارات ثلاث في الحركة الشيوعية العالمية.. المدرسة الغربية، والصينية والامريكية اللاتينية وظهرت مجموعات ومساهمات فردية في العالم الثالث..»

جدير بالذكر هنا أن معظم هذه المدارس قد أبقت لديها متسعاً كبيراً للتشويهات الستالينية رغم كل جديد أتت به وعلى سبيل المثال أذكر المدرسة الصينية والكوبية والعديد من الماركسيين الاوروبيين مثل كونفورث...

فالستالينية - وان كان بعضهم أحياناً خصوصاً في أوروبا الغربية يهاجمها كمرحلة تاريخية وكشخصية ستالين بالذات الا ان تحريفات ستالين النظرية لم يتم ابرازها وانتقادها كما فعل ليون تروتسكي مثلاً:

نفس الصفحة «وبالرغم من أن البيروسترويكا قد عبرت عن ضرورة موضوعية لاخراج الاشتراكية من حالة الركود والازمة... فأخفقت في تحقيق أهدافها...»

إن القارىء لكتاب البرسترويكا ستقع عيناه على تناقضات الكتاب وعلى حقيقة أنه كتاب لا ينتمي للاشتراكية وللماركسية بتاتاً رغم تمسح مؤلفه "غورباتشوف" باللنينية، وحتى أهداف البيروسترويكا كما اتضحت من خلال الكتاب ومن خلال التطبيق العملي

لم تعبر عن نوايا ثورية ولو كان لفظاً، فالبيروسترويكا لم تكن الا كالوميض الكاذب في وادي الظلمات. واني لأتعجب من القول بأن البيروسترويكا كانت لها أهدافاً ايجابيته لم نستطيع تحقيقها.

نفس الصفحة «وفي العالم الثالث تخبط الماركسيون... حقيقة فان معظم اولئك الماركسيين كانوا ستالينيين مؤيدين لموسكو ومتشربون لمنشورات "دار التقدم" فهم لم يتخبطوا فقط وإنما حاربوا بقسوة كل من دعا لفكرة تخالف أفكارهم وصدوه وأغلقوا بوجهه صحفهم التي كانت تتغنى «بالانسان الجديد في الاتحاد السوفييتي»، بل عملوا أيضاً على قطع رزقه كيفما وأينما استطاعوا..

جاء في ص١٩٠ في أسباب وعوامل انهيار الاشتراكية المحققة.

«١- ضعف التطور الاقتصادي والاجتماعي...»

صحيح أن روسيا عشية ثورة أكتوبر كانت ضعيفة من حيث التطور الاقتصادي والاجتماعي والحضاري... الخ رغم تأكيد لينين على أن روسيا كانت قد دخلت عصر تصدير رؤوس الاموال، أي عصر الامبريالية قبل اكتوبر بربع قرن أو أكثر قليلاً لقد كانت روسيا ضعيفة صناعياً ولم يكن لديها تراكم راسمالي كاف ليمكنها من النهوض السريع وبقوة، كذلك لم تتلق معونات من الغرب لاعادة ما دمرته الحرب الامبريالية الاولى ١٩١٤-١٩١٨ كما حدث مع المانيا فيما بعد، أي بعد أن خسرت الحرب. بل العكس هو الصحيح، أي أن روسيا تلقت هجمات عسكرية أوروبية وليس معونات.

مع ذلك فان روسيا كانت مستودعاً هائلاً للطاقة الطبيعية والبشرية، وقد فجرت القيادة البيروقراطية ذلك المستودع وحصلت على الطاقة اللازمة للبناء والتصنيع، رغم أن طريقة استغلال تلك الطاقة لم تكن تتناسب والمبادىء والمناهج الثورية للماركسية. وقد تمت فعلاً عملية بناء صناعية هائلة. أفلا يعني هذا أن روسيا تمكنت من تجاوز مرحلة الضعف الاقتصادي والاجتماعي والحضاري. صحيح أن أطراف الاتحاد السوفييتي بقيت متخلفة عن المركز، لكن ذلك لم يمنع المركز من مراكمة راس المال ودفع البلاد في طريق الصناعة.

إن الاتحاد السوفييتي بعد الاربعينات لم يعد فقيراً ولا ضعيفاً، لقد صنع كل ما احتاجه، ومع ذلك كانت عوامل الانهيار تتراكم واحداً فوق الآخر. كانت مسامير نعش السوفييت تتثبت واحداً بعد الآخر.

لقد تفوق الاتحاد السوفييتي اقتصادياً وحتى علمياً على كل دول أوروبا مجتمعة، وأطلق قمره الصناعي قبل الولايات المتحدة، مع ذلك كانت عوامل الانهيار تتراكم واحداً فوق الآخر بسبب فساد الاوليغاركية البيروقراطية وعلى رأسها الأمين العام للحزب.

«٢- غياب التجربة العلمية الملموسة للبناء الاشتراكي سابقاً...»

لم يتم الحديث هنا عنْ أية فترة تاريخية مما صعب عملية الفهم، لكني أظن أن المقصود بكلمة "سابقاً" أي قبل موت لينين، أو ربما قبل حدوث الثورة في أكتوبر. وعلى أي حال فان ثورة اكتوبر كما نعلم هي أول ثورة اشتراكية في العالم تنتصر وتستولي على السلطة لمدة طويلة وتحدث تغييرات جوهرية اقتصادية واجتماعية وسياسية وغيره، لكنها مع ذلك ورثت تجربة كومونة باريس الرائدة، وكذلك ميراث الحركة الاشتراكية الاوروبية عامة. ومع ذلك فهذا كان قدرها. أي أن تكون الثورة المنتصرة الاولى بحيث وقفت وحيدة تقريباً أمام العالم الامبريالي، وهذا يدفعنا للسؤال، ماذا عن الثورات التالية والانظمة التي حكمت باسم الاشتراكية بعد ثورة أكتوبر، لماذا لم تستفد كما يجب من أكتوبر؟!

من ناحية أخرى لو أخذنا بالمعنى الآخر، لكلمة سابقاً، أي قبل موت لينين لكان الامر كالتالي:

صحيح أن الفترة الممتدة منذ ١٩١٧-١٩٢٣ هي فترة قصيرة جداً لاقامة واختبار الاشتراكية بشكل ثوري هذا ناهيك عن ويلات الحرب الاهلية والتدخل الامبريالي والتفكك الاقتصادي والاجتماعي الذي عاشته روسيا بعد انهيار القيصرية. لكن مع ذلك كانت نظرية البناء الاشتراكي التي وضعت لبناتها الاساسية من قبل لينين بشكل أساسي وبقية البلاشفة خصوصاً تروتسكي تسير في الطريق الصحيح، وكان يمكن تطويرها رغم الصعاب الجسام لولا تدخلت دكتاتورية الامين العام الفظة وقلبت الامور رأساً على عقب. إن الظرف الموضوعي لتخلف مفهوم الاشتراكية قد احتوى على أغلبية كبيرة من العوامل الذاتية، أي التزوير والتحريض والتخريب..

«٣- الدور الكبير للعامل الخارجي الذي جعل المنظومة الاشتراكية تقوم أساساً بفضل تحرير الجيش السوفييتي... أي سلطة دون توفر العوامل الذاتية المحلية..»

أولاً أعتقد أن الأوان قد آن ويا للأسف لهذا الاوان بأن نعترف بوضوح وصراحة، ان «المنظومة الاشتراكية» لم تكن اشتراكية بتاتاً، بل صيغة مشوهة للصيغة الروسية الاصلية، وهذا يفترض من الشيوعيين الثوريين أن يسموا الاشياء بأسمائها. كلا لم تكن منظومة اشتراكية.

من ناحية أخرى فان تحرير الجيش السوفييتي لها كان يمكن له أن يكون شكلاً آخراً ومختلف من حيث النوعية للثورة لو كان الجيش السوفييتي فعلاً جيش الدولة الاشتراكية الحقيقية. إن العوامل الذاتية

للثورة في أوروبا الشرقية كانت موجودة، لكن حراب الجيش السوفييتي ومخابرات الاتحاد السوفييتي أضعفت تلك العوامل الذاتية، أضعفت القيادات الثورية، أو أرهبتها وأرغمتها على الصمت والدلائل كثيرة.

«٤. الاعتداءات والضغوطات الامبريالية الهائلة على الاشتراكية...»

صحيح أن الاعتداءات والضغوطات الامبريالية ساهمت بقسط كبير في إعاقة نمو الاشتراكية، لكن السؤال هو هل تلك الاعتداءات والضغوطات مهما تضاعفت كان يمكن لها أن تفعل فعلها لو أن سلطة الاتحاد السوفييتي كانت دكتاتورية بروليتارية حقيقية ولم تكن دكتاتورية الأمين العام؟. ولو أن اللجنة المركزية للحزب كانت كما كانت عليه قبل موت لينين. أي لجنة مركزية ثورية لحزب ثوري وليس مجرد حملة أختام عملها التصديق على قرارات الأمين العام دون أي كلام؟

جاء ص١٩٣ حول العوامل والاسباب الذاتية:

يتضح من طرح هذه العوامل والاسباب ان معدّي الوثائق النظرية يحاولون تغييب المسؤول عن الجمود العقائدي وتشويه الماركسية وغيره، ولا أدري أي سبب يكمن وراء ذلك. لقد فقد العالم "توازنه" فعلام ولأي سبب لا تسمون الاشياء بأسمائها، ثم لماذا لا تقدمون أي تحليل ولو قصير جداً لما حدث، وأي نظرية ماركسية تم تشويهها وكيف؟

من ناحية أخرى يورد معدي النظرية اصطلاح "الفهم الخاطىء" ويكررونه كثيراً، "الفهم الخاطىء لعملية البناء الاشتراكي" "والفهم الخاطىء للملكية في الاشتراكية.." و"النظرة الخاطئة لجدل العلاقة" و"الفهم الخاطىء لطبيعة عناصر ومكونات البناء الفوقي"...

لا أدري لماذا تستعملون هذا الاصطلاح. ولا تقولون مثلاً، مراجعة مفهوم "الملكية في الاشتراكية"، أو تحريف نظرية "البناء الاشتراكي" أو تزييف وتحريف مفهوم "جدل العلاقة" أو طبيعة عناصر ومكونات البناء الفوقي..."

إن اعتماد اصطلاح "الفهم الخاطىء" يضفي على البيروقراطية الستالينية نظرة تعاطف، بمعنى أنهم فهموا الأمور خطأ ليس الا وربما لم يقصدوا الخطأ، وجل من لا يخطىء.

جاء في ص٢٠٠ «ضرورة إدراك واستيعاب ما ثبت خطأه في النظرية وما شاخ منها وما يحتاج لتدقيق أو تعديل وما هو بحاجة لاعادة انتاج...»

من ناحية مبدئية لا غبار على هذا الكلام فكل خطأ في النظرية يجب تصحيحه ويجب حذف ما شاخ.. الخ الخ، ولكن لنا سؤال لماذا لا تحددون ما ثبتْ خطأه في النظرية وما شاخ منها وما يحتاج لتدقيق أو تعديل أو إعادة انتاج. إن كلاً من هذا القبيل حتى وان كان صحيحاً له من النتائج السلبية الشيء الكثير إذا ما ظل أسير الكلام العام والحديث العابر، كان الأجدى في وثيقة نظرية كهذه أن تتم الاشارة ولو لبعض الامثلة النظرية الخاصة أو التي شاخت. هل نسي معدّوا هذه الوثيقة ان اصطلاح «ما شاخ في الماركسية، هو اصطلاح قديم، استخدمته الاوساط الليبرالية داخل الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية، وقد عاد هذا الاصطلاح للظهور على يد "أنبياء التجديد" خصوصاً غورباتشوف ونسخه المشوهة في أوساط بعض فصائل م.ت.ف.

لذلك يجب الحرص والحذر حين استعمال هذه الاصطلاحات، فالتعميمات في هذا الامر والاحاديث العابرة ورؤوس الاقلام والفقرات المختصرة، كل شيء يسيء لما تؤمنون به وتريدونه..

جاء في ص٢٠٢ حول ضرورة "إعادة دراسة وتدقيق مواقفنا السابقة من الشيوعية الاوروبية ومن مجمل التيارات الماركسية والاشتراكية الاخرى...".

ربما تتفقون معي في أن مواقفكم السابقة من الشيوعية الاوروبية ومن مجمل التيارات الماركسية والاشتراكية الاخرى كانت تستند الى الموقف السوفييتي العام تجاه تلك التيارات. ولكن سقوط الفهم السوفييتي ومجمل منهجه لا يعني بالضرورة أن هناك حاجة لتغيير مواقفكم. إن ما هو مطلوب الآن هو دراسة مناهج تلك التيارات على ضوء الماركسية الثورية، خصوصاً بالنسبة لبعض التيارات الماركسية التي كنتم تعادونها دائماً، أقصد بالتحديد "ماركسية تروتسكي" (أعتذر لهذا الاصطلاح لكونه اصطلاحاً غير صحيح). أقول ماركسية تروتسكي حتى لا يختلط الأمر بصرعات الحركات التروتسكية الكثيرة في هذا العالم.

أما بالنسبة للشيوعية الاوروبية فعلى الرغم من ضرورة دراستها، الا أن الأمر لا يستاهل أن يأخذ منكم الكثير، فهذه "الشيوعية هي (ستالينية مودرن) إن جاز التعبير، أي ستالينية بدون "فظاظة"، لا دكتاتورية بروليتارية ولا لينينية..

جاء في نفس الصفحة "والعمل على استيعاب كل ما هو قيم وايجابي في النظريات الاخرى بما فيها البرجوازية والقومية والدينية، بغض النظر عن منابعها الفكرية.."

اعذروني إن قلت لكم أن هذه ليبرالية مبالغ فيها، فالمنهج العلمي لا يسمح بجانبه لمنهج نصف أو ربع علمي فالنظريات الأخرى خصوصاً البرجوازية والقومية والدينية لا علاقة لها بالمنهج الثوري العلمي الا وهو المنهج الجدلي، فأي ايجابيات تنتظرون من تلك المناهج والنظريات. إن احترام تلك النظريات، أو بشكل أفضل احترام أصحابها

وإقامة تحالفات معينة معهم أمر، واما انتقاء ما هو "قيم وايجابي" فهذا أمر آخر.

صحيح أن على الماركسيين الحقيقيين أن ينفتحوا على كل النظريات والمناهج ووجهات النظر، ولكن الا يتعاملون معها بليبرالية أو خجل أو مداراة...

جاء في ص ٢٠٥ "اذ نأخذ التغييرات النوعية بعين الاعتبار فانه لا بد من إعادة النظر باستنتاجات ماركس ومن بعده لينين عن قرب احتضار الراسمالية وقرب اندلاع الثورة الاشتراكية.. ان هناك ضرورة لمراجعة النظرية عن الامبريالية.. والتدقيق فيما قيل عن تعفنها..."

لا شك بان تغيير الواقع يعكس نفسه على النظرية، وهذا ما حدث حين تنبأ ماركس بحدوث الثورة الاشتراكية في بريطانيا أولاً ولم يخطر بباله حدوثها وانتصارها في روسيا مثلاً، على أساس أن بريطانيا كانت آنذاك مجتمعاً طبقياً نموذجياً للثورة، طبقة عاملة ضخمة ومنظمة، تضيع عالي المستوى، ظروف عمل سيئة، وحركات سياسية واشتراكية عديدة... الخ. على حين كانت روسيا تعيش بقايا القنانة والاقطاع، ولم تخطوا بعد في المرحلة الراسمالية.

لقد "أخطأ" ماركس بنبوءته تلك، ولكن خطأه لم يكن في المنهج، بل خطأ في فهم إمكانية تحول ثورة برجوازية ديمقراطية ضد القنانة والحكم المطلق والكنيسة، لثورة اشتراكية تنادي بدكتاتورية الطبقة العاملة. وبالطبع فلا لوم على ماركس لأنه كان ابناً لزمانه ولم ير معطيات أي تحول من ذاك القبيل. أما من يستحق أكثر من اللوم فهم تلك الجوقة من مناشفة وبلاشفة الذين لم يؤمنوا بامكانية انتصار ثورة اشتراكية في روسيا حتى عشية وقوعها في أكتوبر ١٩١٧.

وبالنسبة لاعادة النظر باستنتاجات ماركس ولينين عن قرب احتضار الراسمالية ومراجعة نظرية الامبريالية... فنحن نرى أن إعادة النظر تلك لا ضرورة لها. المطلوب هو التعمق في استنتاجات ماركس ولينين فهي صحيحة، لكنها لا ترفض أي تحليل جديد ينطلق من معطيات علمية جديدة. فالرأسمالية تحتضر وهي عفنة، وهذا أمر لا يحتاج لنقاش. إنها محتضرة بمعنى أنها وصلت لآخر مرحلة من حياتها الا وهي الامبريالية، حيث لم يعد لها بعد ذلك سوى السقوط تحت ضربات الثورة الاشتراكية. إن امتلاك الدول والاحلاف الامبريالية الاسلحة النووية، والقوة الاقتصادية الكبيرة جداً والثورات الطائلة لا يعني ان الرأسمالية لا تحتضر. كلا، فمعنى الاحتضار لا يعني انهيار الدول الامبريالية قريباً، نفس الامر بالنسبة لعفونتها، إن الامبريالية عفنة لأنها أصبحت رجعية وحجر عثرة أمام تطور التاريخ، لم تعد قادرة على تقديم أية منفعة للبشرية وكل ما تملكه الآن هو البربرية والتخريب واشعال الحروب والنهب والقتل، انظروا واسمعوا الأحداث. العالم تتأكدون تماماً أنها محتضرة وعفنة، ولكن وكما قلت أعلاه، فان هذا لا يعني أن سقوط النظام الامريكي أو الفرنسي أو غيره أمر وشيك وأن الثورة الاشتراكية تنتظر على الباب.

أما بالنسبة لمسألة مراجعة نظرية الامبريالية، فصحيح أن هناك الكثير مما قد يضاف لنظرية لينين حول الامبريالية، الا أن الأمر لا يعني أن لينين كان مخطئاً، وأن هناك مرحلة بعد الامبريالية. ان أي نقد في هذا الأمر لن يتجاوز نظرية كاوتسكي حول "الامبريالية العليا" أما مسألة الاضافات فهي بلا شك واردة.

جاء في ص٢٠٦ «... رغم أن الرأسمالية المعاصرة ما زالت تساهم في التقدم الاجتماعي ولم ينته دورها بعد..»

إننا نفهم من اصطلاح "الرأسمالية المعاصرة" نفس ما نفهمه من اصطلاح الامبريالية اليوم، أي الامبريالية في أواخر القرن العشرين، هذا الطور من الراسمالية حيث البربرية التي تلبس ثياب الحضارة تطل بوجهها القبيح على العالم. إننا نعجب لسماع هذه النغمة التي رددها كاوتسكي منذ سبعة عقود أو أكثر خلت، فما هي المساهمة التي ما زالت الامبريالية تقدمها للتقدم الاجتماعي. وأي تقدم اجتماعي يتحقق في الدول الامبريالية؟! إن كل مكتسبات الطبقة العاملة هناك تتحقق عبر النضالات البطولية التي يخوضها العمال كل يوم، تلك النضالات التي تتخللها على الاغلب اشتباكات دامية مع قوى القمع، خصوصاً في فرنسا وايطاليا وحتى في الولايات المتحدة. وحتى نضالات الاقليات العرقية في المانيا ومؤخراً ثورة السود والملونين في الولايات المتحدة تشير إلى انتهاء الدور التقدمي الذي لعبته الراسمالية سابقاً وبالتالي إفلاسها وتعفنها اجتماعياً.

حتى الاكتشافات العلمية والطبية والتي ليست لها علاقة بالنظام السائد، إنما تجير لخدمة السوق ومبدأ الربح، وأما غزو الفضاء فهو أيضاً ملحق بالسوق الحربية والسياسية العدوانية.

إن "الرأسمالية المعاصرة" أي الامبريالية، لم يعد لها أي دور تقدمي، ويكفي الانحطاط الثقافي الذي تعيشه مجتمعاتها على كل أصعدة الثقافة. يكفي التعاون الوثيق ما بين مخابرات الدول الامبريالية وعصابات المافيا والمخدرات في كل مكان.

إن الفساد السياسي في ايطاليا لم ينته بعد وها هو يمتد سنة بعد سنة دول حل، فأي دور تقدمي تبقى للامبريالية؟! (بالمناسبة، لقد صعد اليمين الفاشي هذه الأيام إلى السلطة في ايطاليا) جاء في ص٢٠٨ «... وعلى ماركسيين العالم الثالث

الاستفادة من خبرة التجربة السابقة للعمل على انتاج الماركسية الوطنية المتميزة.... ونبذ سياسة حرق المراحل أو القفز عن قوانين التطور الموضوعي..»

يُذكرنا اصطلاح «الماركسية الوطنية» بالاصطلاح المشؤوم «الاشتراكية الوطنية» إن الماركسية لا يمكن لها أن تكون قومية أو إقليمية، بمعنى أن مصلحة الطبقة العاملة والاشتراكية لا يمكن حصرها ضمن مصلحة بلد واحد أو وطن واحد. صحيح أنه لا تناقض ما بين الماركسية وما بين نضال أي شعب من أجل الحصول على الاستقلال الوطني. بالعكس فالنظرية الماركسية أثبتت صلاحيتها وتفوقها في العديد من الثورات الوطنية وعلى رأسها فيتنام. ولكن هذا لا يعني ان بالامكان الحديث عن ماركسية فيتنامية أو كوبية أو صينية أو روسية... الخ.

لقد أخضع ستالين وبيروقراطيته مصلحة الاشتراكية العالمية، ومسألة التطور النظري للماركسية، لمصلحة الاتحاد السوفييتي فبعد أن كان الاتحاد السوفييتي طرفاً متميزاً في حزب الثورة الاشتراكية العالمية "الاممية الثالثة" يقدم خدماته لها، أصبحت كل أحزاب الاشتراكية في العالم وكل "الاممية الثالثة" في خدمة الاتحاد السوفييتي، كل هذا نتيجة لتحويل ستالين الماركسيةمن نظرية ثورية أممية، إلى نظرية قومية أو وطنية بعد "ابداعه" لنظرية "الاشتراكية في بلد واحد".

أما بالنسبة لسياسة حرق المراحل فهي بالطبع غير صحيحة ان كانت إرادية ولا تستند إلى مبررات علمية. في نفس الوقت علينا أن نعرف جيداً أن تحول الراسمالية من نظام محلي إلى نظام عالمي، يفرض على البلدان والمجتمعات التي لم تمر بعد في الرأسمالية القوانين الراسمالية دون أية مراعاة، فكل بلدان ما يسمى بـ"العالم الثالث" خاضعة لقوانين الانتاج الراسمالي حتى ولو كان بعضها ما زال يعتمد على المحراث الخشبي.

إن الراسمالية لا تراعي المراحل، لهذا على ثوريي هذه البلدان أن يدرسوا ويحللوا بشكل علمي واقع بلدانهم ويقرروا ما يناسبهم. ان الثورة الاشتراكية هي سبيل التحرر اليوم لكل بلدان المعمورة. وان انتظار برجوازية البلدان "النامية" أي التابعة لتطور رأسماليتها وتصنع البلاد وتقود الثورة الديمقراطية أمر لا رجاء فيه ولا نفع. ان وضع الثورة الاشتراكية، بمعنى آخر تنفيذ الثورة الديمقراطية التي هي مهمة برجوازية، هدفاً للثوريين في الدول التابعة لم يعد حرقاً للمراحل ولا قفزاً عن قوانين التطور الموضوعي. اسألوا بذلك فيتنام وكوبا والصين وراجعوا كتابات لينين وتروتسكي بهذا الشان. وقبل كل شيء افحصوا إن كانت برجوازية البلدان التابعة معنية وقادرة على القيام بالمهمة الثورية، أم أنها تفضل سبيل المساومة والكومبرادور.

جاء ص٢٠٩ «... فلقد أثبتت الخبرة صحة الكثير من النقد الذي وجه للاشتراكية المحققة من قبل الاشتراكية الديمقراطية والتروتسكية والشيوعية الاوروبية وغيرها»

مع أننا تعرضنا لهذه النقطة سابقاً، الا أن تكرارها يوجب العودة إليها وتأكيدها ثانية. ان الاشتراكية الديمقراطية كفت منذ زمن بعيد عن أن تكون اشتراكية فعلاً، فهل ميتران وبيرس على سبيل المثال اشتراكيان؟!! أية اشتراكية هذه. بالتالي فليس لهذه "الاشتراكية" الحق أن تنتقد من على قاعدة اشتراكية لا تملكها. إنها وجه آخر للرأسمالية، لذلك من الخطأ الانتباه إلى انتقاداتها واحكامها التي لا تخدم أولاً وأخيراً الا المصلحة الامبريالية.

أما الشيوعية الاوروبية فخير ما فيها ليس أفضل من الستالينية، فهي في بداية حياتها كانت ستالينية، ثم راجعت ستالينيتها بأدوات برجوازية.

ماذا عن التروتسكية؟ لا شك بأن الحركات التروتسكية في العالم كثيرة وانشقاقاتها أكثر. مع ذلك كانت انتقاداتها للاتحاد السوفييتي ومنظومته تحمل الكثير من الصواب طوال عقود طويلة. واني لأرى أن ذلك الصواب يعود بالدرجة الاولى لانطلاقها من مقدمات وآراء وأحكام ليون تروتسكي القائد العملي لثورة أكتوبر كما أقر ستالين، وقائد المعارضة في وجه البيروقراطية منذ نشأتها داخل الحزب والدولة.

إن من يقرأ بتمعن مؤلفات تروتسكي سواء تلك التي نشرت أيام لينين ومنعت أيام ستالين، ام تلك التي نشرت بعد نفي تروتسكي خارج الاتحاد السوفييتي ينفتح أمامه عالماً من النقد كان قد وجهه للاتحاد السوفييتي زعيماً وحزباً ودولة ومجتمعاً. ويكفي كتاب "الثورة المغدورة" شاهداً على عمق المأساة التي ستتطور بشكل طبيعي إلى انهيار فيما بعد.

جاء ص٢١٠ تحت عنوان "تجديد الحزب" أن يقوم الحزب "على أساس ديمقراطي" أي "عدم احتكار الحزب للنظرية".. الخ.

إن ما جاء تحت هذا العنوان هو المطلب الثوري الكفيل بأحداث تغييرات نوعية على موضوعة الحزب، لكن اسمحوا لي أن أقترح القيام ببحث شامل ووافي عن مسيرة الحزب الشيوعي السوفييتي، خصوصاً قبل عام ١٩٢٤ للوقوف بشكل حقيقي على مدى ما طبق من ديمقراطية داخل ذلك الحزب.

لقد عاشت الديمقراطية الحقة داخل الحزب البلشفي منذ تأسيسه عام ١٩٠٣ وحتى موت لينين عام ١٩٢٣ رغم التقييدات التي فرضها المؤتمر العاشر عام ١٩٢١ بفعل الاوضاع الشاذة التي سادت أنذاك.

إن منع تكوين الكتل والأجنحة وغير

ذلك من الاساليب الديمقراطية داخل الحزب والتي استمرت طوال ١٨ عاماً ومرت بتجربة ثلاث ثورات ١٩٠٥ وشباط واكتوبر هو الخطيئة الاصلية التي استخدمها ستالين ووأد بها الديمقراطية البلشفية. وللعلم فان لينين الذي اقترح منع تكوين الكتل والاجنحة والتيارات على ذلك المؤتمر وحاز على المصادقة لم يلتزم هو نفسه بذلك القرار، فلقد اشترك لينين في تكتلات بعد المؤتمر مباشرة.

إن حزباً بدون تكتلات وتيارات واضحة ومعسكرات هو حزباً دكتاتورياً وهذا ما يدركه القاصي والداني بعد الانهيار سواء كان ماركسياً أم كان راسماليا. وهذه هي خبرة وتجربة الاتحاد السوفييتي.

لم يخطىء لينين باقتراحه منع التكتلات داخل الحزب عام ١٩٢١، لكنه لم يكن يعتقد -وهذا كان خطأه- ان ستالين سوف يستخدم ذلك الاقتراح القرار الحزبي كنظرية عامة تقفز فوق الظروف والبلدان والازمان. ان العودة للديمقراطية داخل الحزب الماركسي هو العودة لما كان سائداًقبل المؤتمر العاشر.

هذه هي وجهة نظري تجاه هذه الوثيقة النظرية التي تبعث على الامل وإني لأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم ولو نزر يسير من الفائدة.

الجاليات العربية تدين قرار إبعاد اليمانـــي

أثار قرار الحكومة الكندية بترحيل الشاب الفلسطيني عصام اليماني ردود فعل غاضبة في أوساط الجاليات العربية في العاصمة الكندية أوتاوا التي اعتبرت القرار مجحفاً. وذكرت الجاليات العربية، في تورنتو أن قرار الحكومة الفيدرالية اعتمد على افتراضات تخمينية لجهاز المخابرات الكندي الذي يعتبر اليماني ارهابياً محتملاً.

وتتلخص قضية اليماني في عدم ارتياح جهاز المخابرات للمساعدات التي أرسلها الى المنظمات الانسانية العاملة في الضفة الغربية وقطاع غزة. بدعوى أن المساعدات ربما تكون محولة الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي يعتبرها جهاز المخابرات "منظمة إرهابية" في حين أن حكومة اونفاريو قد أرسلت من قبل مبالغ مالية للمنظمة نفسها.

وأكدت الجاليات العربية (الاتحاد العربي) ان قرار إبْعاد اليماني وهو ابن أحمد اليماني (أبو ماهر) أحد مؤسسي حركة القوميين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ما هو الا نوع من السياسات التعسفية التي تمارسها أجهزة الامن الكندية ضد الجاليات العربية.

وذكر د. فريد عباس رئيس الاتحاد العربي الكندي أن جهاز المخابرات الكندي يعتبر النشاط السياسي لدعم كفاح الشعب الفلسطيني خطراً على أمن كندا في حين أن وزير الهجرة قد أعلن تغيير موقف حكومته من منظمة التحرير الفلسطينية - التي كانت تعتبرها إرهابية.

وقد أدلى عصام اليماني بأقواله أمام المحكمة الفيدرالية مساء الثلاثاء ٥/٣١- التي طلبت تأجيل تنفيذ القرار لحين الفصل في الدعوى الاستئنافية.

قائمة بأسماء شهداء جدد

شهدت الشهور الثلاثة الماضية تطورات دراماتيكية في التطورات السياسية بدءاً بارتكاب مجزرة الحرم الابراهيمي الشريف، وما أعقبها من أحداث ومواجهات، ومروراً بارسال مراقبين دوليين الى مدينة الخليل، وانتهاءاً بتوقيع اتفاق تطبيق اعلان المبادىء بين م.ت.ف واسرائيل، ودخول الشرطة الفلسطينية الى منطقتي غزة وأريحا.

وحتى بعد تاريخ التوقيع على اتفاق الحكم الذاتي، سقط عدد من الشهداء في قطاع غزة والضفة الغربية، وخلال الشهور الماضية بلغ عدد الشهداء (١١٤) شهيداً. وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة الى (١٥٨٤) شهيداً. وفيما يلي قائمة بأسماء الشهداء الجدد.

الاثنين ١٩٩٤/٢/١٤

- فارس زايد أبو زكار (١٧ عاماً) رفح/ قطاع غزة. متأثراً بجراحه التي أصيب بها يوم الجمعة الماضي.

الثلاثاء ١٩٩٤/٢/١٥

- إيهاب توفيق بركات (١٧ عاماً) رفح/ قطاع غزة. أصيب برصاص الجيش بعد صدامات وقعت في المدينة اثر استشهاد أبو زكار

الاربعاء ١٩٩٤/٢/١٦

- مروان محمود محمد جحشن (٢٠ عاماً) حلحول/ الخليل. أصيب بجراح خطيرة في بطنه توفي متأثراً بها.

الخميس ١٩٩٤/٢/١٧

- أنور راشد طاهر قطيط (٢٣ عاماً) قرية سيريس/ جنين. تضاربت الانباء حول استشهاده، فبينما ذكر راديو اسرائيل أن طلقة نارية انفلتت من سلاح أحد الجنود أثناء التدقيق في هوية الشهيد، ذكر شهود عيان أن الجنود أطلقوا النار بشكل متعمد ودون أي سبب.

الخميس ١٩٩٤/٢/٢٤

- عبد الرحمن محمد حمدان (٢٣ عاماً) مخيم خانيونس/ قطاع غزة. استشهد في اشتباك مسلح في بلدة أبو ديس بالقدس استمر ١٠ ساعات.

الجمعة ١٩٩٤/٢/٢٥

شهداء مجزرة الحرم الابراهيمي بالخليل ومضاعفاتها

- سليم فلاح ادريس	الخليل	٢٥
- نور الدين المحتسب	الخليل	٢٠
- طارق عدنان محمد عاشو	الخليل	١٣
- جميل عايد تميم النتشة	الخليل	٥٠
- سليمان عواد الجعبري	الخليل	٣٠
- مروان مطلق أبو نجمة	الخليل	٣١
- عبد الرحيم أبو اسنينة	الخليل	٤٧
- أحمد عبد الله أبو اسنينة	الخليل	٢٧
- علاء بدر طه أبو اسنينة	الخليل	١٧
- سفيان بركات زاهدة	الخليل	٢٠
- رائد حسن النتشة	الخليل	٢٠
- نمر محمد نمر مجاهد	الخليل	٣٠
- حاتم خضر الفاخوري	الخليل	٢٦
- وائل صلاح المحتسب	الخليل	٢٩
- كمال جمال قفيشة	الخليل	١١
- عرفات ربحي البايض	الخليل	٢٤
- صابر موسى كاتبة	الخليل	٢٥
- محمد عطية السلايمة	الخليل	٢٣
- اسماعيل فايز قفيشة	الخليل	٢٨
- محمد راجي أبو حمدي غيث	الخليل	٥٠
- وليد زهير غيث	الخليل	١١
- عرفات موسى برقان	الخليل	٣٤
- ذياب عبد اللطيف الكركي	الخليل	٢٠
- رامي عرفات الرجبي	الخليل	١٢
- خالد حمزة الكركي	الخليل	١٩
- طلال حمادة دنديس	الخليل	٢٤
- جبر عارض أبو حديد	الخليل	١٣
- خالد خلوي أبو اسنينة	الخليل	٥٥

- محمد صادق أبو زعنونة — الخليل — ٤٦
- أيمن أيوب القواسمي — الخليل — ٢١
- زيدان حمودة جابر — الخليل — ٣٠
- نادر سالم زاهدة — الخليل — ٢٢
- كفاح عبد المعز مرقة — الخليل — ١٢
- عبد الرحيم العجلوني — الخليل — ٦١
- وليد أبو حمدية — الخليل — ١٤
- عطية محمد عطية السلايمة — الخليل — ٣٥
- محمد يوسف غياظة — نحالين/بيت لحم — ٢٦
- أمجد شاهين — القدس — ١٧
- حماد أبو عبود — مخيم البريج/غزة — ٢٠
- فضل محمد القريناوي — مخيم البريج/غزة — ٢٤
- محمد حسن الدنف — الشيخ رضوان/غزة — ٢٠
- رامي نشأت جاموس — رفيديا/ نابلس — ٢٢

السبت ١٩٩٤/٢/٢٦

- فادي طارق العيساوي — العيساوية/القدس — ١٦
- اسماعيل عدنان عزمي — مخيم طولكرم — ١٩
- عوني أبو عجوة — الشيخ رضوان/غزة — ١٧
- أمجد اسماعيل البدوي — مخيم الجلزون/رام الله — ١٨
- مريم أحمد عمر — سنيريا/ نابلس — ٢٨

الأحد ١٩٩٤/٢/٢٧

- أيمن غازي هنية — حي الزيتون/غزة — ١٧
- ناجح عوض زيادة — مادما/ نابلس — ٢١
- محمد أبو جامع — راهط/ النقب — ٢٢

الاثنين١٩٩٤/٢/٢٨

- عبد الرحيم العجلوني — الخليل — ٥٨
- طلال وجيه الصالح دويكات — نابلس — ٣٤

الاربعاء ٩٤/٣/٢

- عثمان علي سليمان البرهم (١٧ عاماً) أريحا. استشهد برصاص الجيش خلال المواجهات.
- أسامة مصطفى جمعة غزال (١٩ عاماً) الخليل. برصاص الجيش.

الخميس ١٩٩٤/٣/٣

- ايمان يوسف القرشلي (١١ عاماً) غزة. متأثرة بجراحها التي أصيبت بها يوم ٢/٢، حيث أصيبت برصاصة في وجهها.

الجمعة ١٩٩٤/٣/٤

- اياد أحمد صلاح (٢٥ عاماً) غزة. أصيب بالرصاص
- امتياز أحمد مرتجى (١٧ عاماً) حي الشجاعية/ غزة. بالرصاص.
- ناصر نمر محمود عيسى (٢٦ عاماً) مخيم بلاطة/ نابلس. بالرصاص.
- حاتم حامد الكعبي (٢٤ عاماً) مخيم بلاطة/ نابلس. بالرصاص.

الاثنين ١٩٩٤/٣/٧

- وائل نعيم النتشة (٢٧ عاماً) الخليل. استشهد برصاص الجيش خلال المواجهات.
- سمير عيد دويك (٢٥ عاماً) الخليل. استشهد برصاص الجيش خلال المواجهات.

الثلاثاء ١٩٩٤/٣/٨

- ابراهيم خليل سلامة (٢٣ عاماً) خانيونس/ قطاع غزة. استشهد قرب حاجز «ايرز».
- اسلام فوزي عبد السلام أبو ارميلة (٢٨ عاماً) العيزرية/ القدس. استشهد قرب حاجز «ايرز» على مدخل قطاع غزة.

الخميس ١٩٩٤/٣/١٠

- موسى بدر دواس (١٨ عاماً) دير البلح/ قطاع غزة. أصيب بعيار ناري في القلب خلال المواجهات.

الثلاثاء ١٩٩٤/٣/١٥

- عبد.الله أحمد محيسن (٢٢ عاماً) تل الزعتر- جباليا/ قطاع غزة. خلال اشتباك عسكري قرب قرية بيت لاهيا.

الاربعاء ١٩٩٤/٣/١٦

- نضال محمد عقل عيسى الطيراوي (٣٨ عاماً) مخيم بلاطة/ نابلس. جراء استنشاق غاز مسيل للدموع، حيث أطلق الجنود قنبلة غاز سقطت في محل للملابس يمتلكه في مدينة طولكرم.
- أمجد زين الدين العويوي (٢٢ عاماً) الخليل. خلال مواجهات حصلت في المدينة.

الخميس ١٩٩٤/٣/١٧

- محمد مصطفى شهوان (٢٥ عاماً) خانيونس / قطاع غزة
- طه مسامح (٢٢ عاماً) خانيونس / قطاع غزة

استشهد الاثنان اثر اشتباك مسلح بينهما وبين دورية عسكرية وسط المدينة

الجمعة ١٩٩٤/٣/١٨

- عبد الرحيم محمد عبد الله هماش (٤٤ عاماً) مخيم الدهيشة/ بيت لحم. أصيب بنيران جندي اسرائيلي في منطقة جيلو قرب بيت لحم

السبت ١٩٩٤/٣/١٩

- علاء منصور ذيب أبو دواس (١٥ عاماً) طوباس/ جنين.

استشهد اثر ارتطامه بجسم مشبوه من مخلفات الجيش الاسرائيلي قرب البلدة.

الاثنين ١٩٩٤/٣/٢١

- الشيخ أحمد عليوه (٢٩ عاماً) غزة.

أصيب برصاص الجيش الاسرائيلي وهو مار في أحد شوارع المدينة يوم الاحد ٣/١٩

الثلاثاء ١٩٩٤/٣/٢٢

- حندق محمد يونس زاهدة (٣٥ عاماً) الخليل
- منال سعيد قنيبي (٢١ عاماً) الخليل

أصيبت الشهيدتان برصاص الجيش أثناء الاشتباكات المسلحة التي شهدتها المدينة.

الاربعاء ١٩٩٤/٣/٢٣

- اياد محمد حسين أبو حديد أبو اسنينه (٢٢ عاماً) الخليل
- محمد عايد عزت الاطرش أبو اسنينه (٢٢ عاماً) الخليل
- مروان محمد سعيد أبو ارميله (٢٧ عاماً) الخليل.

استشهد الثلاثة خلال اشتباك مسلح دام ١٨ ساعة متواصلة في مدينة الخليل التي كانت تخضع لنظام حظر التجول.

الجمعة ١٩٩٤/٣/٢٥

- رياض حسن صالح اسليمية (٣٥ عاماً) إذنا/ الخليل. تعرض لاطلاق نار من قبل مستوطن بينما كان يقود شاحنته في منطقة "الخط الاخضر" قرب قرية بين جبرين.

الاثنين ١٩٩٤/٣/٢٨

- جمال سليم عبد النبي (٣٥ عاماً) مخيم جباليا.
- ناهض محمد عودة (٢٤ عاماً) غزة.
- أحمد سالم أبو إبطيحا (٣٠ عاماً) مخيم جباليا.
- أنور محمد المقوسي (٣٠ عاماً) مخيم جباليا.
- مجدي يوسف عبيد (٢٥ عاماً) غزة.
- عبد الحكيم سعيد شمالي (٣٠ عاماً) غزة.

استشهدوا برصاص الوحدات الخاصة الاسرائيلية في مخيم جباليا. وهم من صقور فتح

الثلاثاء ١٩٩٤/٣/٢٩

- عمر عوض القباني (١٧ عاماً) مخيم البريج/ قطاع غزة. أصيب برصاص الجيش.

الاربعاء ١٩٩٤/٣/٣٠

- وائل خليل نيب نوفل (١٧ عاماً) قرية دير شرف/ نابلس. تعرض لاطلاق النار من قبل مستوطن اسرائيلي

السبت ١٩٩٤/٤/١

- خالد حلبي (٢٨ عاماً) مخيم خانيونس/ قطاع غزة. اثر انفجار عبوة ناسفة كان يقوم باعدادها.

الثلاثاء ١٩٩٤/٤/٥

- تامر ياسر عز الدين زيدان (١٦ عاماً) بير نبالا /رام الله. تعرض لحادث سير من قبل سيارة للمستوطنين على طريق بير نبالا - الجيب.

الاربعاء ١٩٩٤/٤/٦

- رائد محمد عبد الله زكارنة (١٩ عاماً) قباطية/ جنين. قام بعملية انتحارية وذلك بتفجير سيارة مفخخة في العفولة.

الخميس ١٩٩٤/٤/٧

- فخري إبراهيم قاسمية (١٦ عاماً) بلعا/ طولكرم. برصاص الجيش.
- علي طالب العيماوي (٢١ عاماً) مخيم الشاطىء/ قطاع غزة. بالرصاص.

السبت ١٩٩٤/٤/٩

- عاطف جمعة عبيد (١٨ عاماً) الشيخ رضوان/ غزة. برصاص الجيش.

الثلاثاء ١٩٩٤/٤/١٢

- فاطمة سامي عبد الله (١٩ عاماً) قرية الجيب/ رام الله. برصاص مستوطن.
- عوض عبد الله حسن الحنداش (٢٤ عاماً) مخيم الجلزون/ رام الله. برصاص الجيش.

الاربعاء ١٩٩٤/٤/١٣

- عمار صالح ذياب عمارنة (٢١ عاماً) يعبد/ جنين. استشهد عندما نفذ هجوماً انتحارياً في مدينة الخضيرة.

السبت ١٩٩٤/٤/١٦

- ناهد عودة حسني مطير (١٩ عاماً) مخيم قلنديا/ القدس. أصيب برصاص الجيش في رأسه.

الأربعاء ١٩٩٤/٤/٢٠

- ياسين محمود عبد الرحمن حمد (٢٢ عاماً) مخيم قلنديا/ القدس. متأثراً بجراحه التي أصيب بها يوم أمس (٤/١٩).

الخميس ١٩٩٤/٤/٢١

- حسان يوسف الغفير (١٩ عاماً) حي الشجاعية/ غزة. برصاص الجيش.

السبت ١٩٩٤/٤/٢٣

- محمود طومان (١٨ عاماً) خانيونس/ قطاع غزة. استشهد برصاص المستوطنين بعد أن طعن مع زميل آخر امرأة اسرائيلية في مستوطنة في القطاع.
- شفيق ماهر الشوا (١٣ عاماً) غزة. أصيب بعيار ناري في رأسه

قبل أسبوعين.

الثلاثاء ١٩٩٤/٤/٢٦

- كامل حسين محيسن الوريدات (٣٥ عاماً) الظاهرية/ الخليل. برصاص الجيش.

الاثنين ١٩٩٤/٥/٩

- أحمد ابراهيم الطبش (١٣ عاماً) خانيونس. قطاع غزة. أصيب برصاص أحد المستوطنين.

الجمعة ١٩٩٤/٥/١٣

- عمار عبد المطلب الشوا (١١ عاماً) أريحا. استشهد في حادث مؤسف أثناء الاحتفالات باستقبال قوات الامن الفلسطيني.

السبت ١٩٩٤/٥/١٥

- عمران عايد زروق (٣٠ عاماً) حي الرمال/ غزة. أصيب برصاص الجيش أثناء عودته الى البيت بعد أدائه صلاة العشاء في المدينة.

الاربعاء ١٩٩٤/٥/١٨

- بشار عبد الرحمن حماد الزبن (٢٣ عاماً) نابلس. أصيب بعيار ناري في الرأس أطلقه حارس شاحنة صهريج اسرائيلية.

الأحد ١٩٩٤/٥/٢٢

- جهاد ابراهيم عصفور (٢٨ عاماً) عبسان الصغيرة/ قطاع غزة. استشهد حينما دمر جنود اسرائيليون منزلاً في الخليل بقذائف صاروخية مضادة للدبابات، حيث كان الشهيد مطارداً منذ عامين.

الثلاثاء ١٩٩٤/٥/٣١

- عبد المنعم محمد يوسف أبو حميد (٢٥ عاماً) مخيم الامعري/ رام الله.

- زهير رضوان عبد الجواد فراح (٢٨ عاماً) الرام/ رام الله. استشهد الاثنان على أيدي القوات الخاصة في بلدة الرام شمالي القدس.

- محمد فوزي مرعي (١٠ أعوام) كفر دان/ جنين. اثر انفجار جسم مشبوه يعتقد أنه من مخلفات الجيش الاسرائيلي.

وأسرة تحرير مجلة "الكاتب" إذ تنحني إجلالاً للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا وأهل الشهداء بخالص العزاء.

تصريح

البروفيسور يشيعياهو ليبوفيتش الذي قارب التسعين من العمر ومعروفاً باعتداله صرح في أعقاب المجزرة قائلاً:

"لنعلنها كالشمس الساطعة لكل فرد: كل شخص لا يرفض الخدمة العسكرية في الاراضي المحتلة، هو بدون شك حليف (للارهابي) غولدشتاين (منفذ المجزرة في الحرم الابراهيمي) وشريك مباشر في المجزرة، والذي بتصرفاته يمثل الشعب والحكومة، وأن المتهم والمجرم هي الحكومة واسحق رابين".

ورد في يديعوت أحرنوت ٢-٣.

كيف تنظر الادارة المدنية الى التعليم في الضفة الغربية

من خلال

مجلة "أضواء على التربية والتعليم"؟

صافي صافي

الجزء الاول

مقدمة

ليس القصد هنا التعرف على فلسفة التربية والتعليم في الضفة الغربية من كافة الجوانب، ونتيجة مراقبة كافة التصريحات والمقالات التي أنتجت خلال فترة الاحتلال، وإنما سنحاول إلقاء نظرة على وجهة نظرهم من خلال مجلة "أضواء على التربية والتعليم" الصادرة عن دائرة التربية والتعليم في الادارة المدنية لمنطقة "يهودا والسامرة" الشهرية ومنذ تشرين الثاني ١٩٩١، وسنحاول في هذه المقالة التعرف على ما تصبو إليه من خلال مقالات محفوظ زاهر ضابط التربية والتعليم التي تصدرت أعداد المجلة.

يبدو أن هذا الاصدار هو الاساس الذي يوزع على معلمي المدارس الحكومية في الضفة الغربية، وهو أيضاً منبر المعلمين الرسمي للادلاء بآرائهم التربوية ومعالجة القضايا اليومية التي يعايشونها، وهذا ما يكسب متابعتها أهمية.

أهداف المجلة والتربية:

يقول ضابط التربية بأن المجلة «تعنى بشؤون التربية والتعليم والعاملين في هذا الحقل من موجهين ومدراء ومعلمين كرام، ولتكون ملتقى الفكر التربوي المحض، وحتى يتسنى للمعلم أن يطلع على الجديد في النظريات التربوية والطرق والمساقات والاساليب الحديثة لينتقى منها الأفضل والملائم لجمهور طلابه» (ع١)، ولا ينفك ضابط التربية وفي أكثر من موقع من الدعوة إلى مؤازرة المجلة فهي "غرسة غضة من غراس الثقافة نريدها أن تترعرع ويشتد عودها، وتؤتى أكلها، معرفة أصيلة، وأدباً رفيعاً وعلماً وخلقاً قويماً"(ع٢٦)، ويكمل «بتكاتف جهودنا، ورفد هذه الغرسة بعطائنا السخي، الذي نأمل أن يستمر ويتواصل بنشاط وعزيمة وأدب» (ع٢٦).

وتحت عنوان "لنعمل على تغيير شخصية أبنائنا إلى الأفضل" يقول «يجب العمل على بناء أبنائنا من جميع النواحي وإحداث تغيير عرضي في شخصية أبنائنا، كي يستطيعون تحمل المسؤولية» (ع٢٤)

وفي مكان آخر يحدد زاهر بأن تضافر الجهود خارج المدرسة وداخلها من أجل العودة إلى مستوى التعليم قبل الانتفاضة باعتباره هدفاً إذ يقول: "فلتتضافر جهودنا جميعاً، عاملين في مكاتب التربية والتعليم ومعلمين ومعلمات، وأولياء أمور ورجال فكر وعلم وأدب، ولنعمل يداً بيد، متعالين على آلامنا، مادية كانت أم معنوية، للأخذ بأيدي أبنائنا وبناتنا، حتى نعيد للتعليم سيرته الاولى، حيث كان مثار فخر واعتزاز، ونأمل أن يكون" (ع١٨)

وكما نلاحظ فان هدف المجلة هو أن تكون منبراً للمعلمين لتبادل الآراء التربوية وللمساهمة في طرق تحسين التدريس، أما أهداف التربية فظلت عامة دون تخصيص ودون أن يدلنا ماذا يقصد بالكثير من المصطلحات مثل الجديد في النظريات التربوية، والاساليب الحديثة والفكر التربوي والثقافة والادب الرفيع والعلم النافع والتغيير العرضي والمسؤولية المستقبلية، وضاعت الكثير من العبارات والمصطلحات في صياغات أدبية أكثر منها تربوية.

المعلم والطالب:

الهدف التربوي من وجود المعلم هو الطالب ومسؤولية المعلم هي "الحفاظ على مصلحة الطالب والوصول به إلى التحصيل المرجو منه ليصبح في النهاية رجلاً ناضجاً صادقاً أميناً" (ع١)، والطالب الممتاز "يجب أن يكون أولاً وأخيراً صادقاً مع نفسه ومع معلمه ومديره وولي أمره فلا يزعم لنفسه أنه يفهم هذا المساق أو ذاك، وهو في الواقع جاهل بمعظم مسائله" (ع٢)، وهو أيضاً وبهذه العبارات المقتضبة التي يبدو أنها أتت عرضاً تقع في دائرة التعميمات التي يمكن لأي شخص أن يقولها ما دام لم يتوسع فيها عبر مقالاته المتعددة ولم يعرفنا بمصطلحات الرجولة والنضج والصدق والأمانة.

الامتحان:

يثير الانتباه ما كتب في العدد ١٥ رغم أنه تعرض للامتحان في أكثر من مكان ، وهو يعتبر أن ليس هناك إشكاليات فيها ولا في طبيعتها، وهذا يتعارض مع آراء العديد من التربويين الذين ينظرون للامتحان كمحطة نستطيع أن نوجه الطالب من خلاله نحو المنهاج وطرق التدريس وأهدافها، وهو يدعو الطلبة إلى أن لا يحملوه أكثر مما يستحقه، وأنه ليس نهاية بل بداية متجددة، وأن الحياة نفسها هي سلسلة من الامتحانات لانطلاقة جديدة، يقول «ليس الفشل في طريقة الامتحانات ولا في طبيعتها بقدر ما هو فيما نحمله لها من قيمة أكبر من قدرها، ففي الكثير من الاحيان يعتبرها الناس نهاية ما... في حين أنها في جوهرها دائماً بداية متجددة، من هنا نستطيع القول أن ما نحتاج إلى تغيره وبسرعة ليس في طبيعة الامتحانات وشكلها ولكن في الفلسفة من ورائها .. وفي الموقف الشامل من الحياة، ومن الاهداف الأبعد». (ع١٥).

"وفي تصوري أنه بتغيير موقفنا الحضاري كله، وبتعميق موقفنا الانساني الشامل، سنأخذ الحياة على أنها رحلة مستمرة، نمر خلالها بامتحانات مختلفة، ومن بينها الامتحانات التحصيلية التي هي علامات على الطريق الجديدة، وأن هذه البداية ملزمة دائماً سواء كانت النتيجة الفشل أم النجاح، فبعد الفشل يزيد التحدي ويتعلم الانسان رؤية جديدة وخبرة جديدة، وبعد النجاح تزيد المسؤولية، ويتحدد الاتجاه أكثر فأكثر نحو تحد جديد لانطلاق أعمق وأكثر شمولاً" (ع١٥)، رغم أنه في مكان آخر يناقض ما قيل أعلاه ويقترب من وجهات نظر العديد من التربويين إذ يقول: "أن قضايا الادارة التربوية ومسؤوليات المستقبل لا تنفصل عن مجالس الآباء ودورها الفعال، إلا أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالتخطيط والمنهاج والتعليم الصناعي والعلاجي، وما يتبعها من تقييم تربوي تقع عليه مسؤوليات إعادة النظر في إمتحانات التوجيهية، بالاضافة إلى علاقة التقويم التربوي للعملية التربوية" (ع١٠،١١).

النشاطات المدرسية:

ويقصد بالنشاطات تلك التي لا تعلم في الصف ولا تحتوي عليها الكتب المدرسية، بمعنى النشاطات غير الصفية والتي تساعد الطالب على النمو والخلق، وهنا يحاول زاهر أن يضع نظرة شاملة للتعليم، ويرى أن النشاطات هذه مكملة للعملية التربوية فهو يقول «التعليم ليس مجرد قرارات، وإنما هو جميع النشاطات التي تقوم بها المدرسة، فهذه تثري عملية التعليم وتعززها وتنميها، وتخلق ولاءً لدور المعلم راسخاً (!!)، وتجعلها أكثر جاذبية، وتقوي العلاقات بين أبنائنا، وتبعث في النفوس روح التعاون والثقة والتنافس الخلاق وتنمي حب الإبتكار وعشق الحرية» (ع١٩)، ويقول في مكان آخر "إن إقامة مراكز ترويح صيفية لأبنائنا وبناتنا الطلبة والطالبات أمر من الامور المكملة للعملية التربوية، فهي تعمل على تنمية أشكال النمو الاجتماعي والانفعالي والحركي لدى فلذات أكبادنا، كما تكسبهم مهارات عقلية ويدوية لتكمل عمل البيت والمدرسة. هي نقطة انطلاق لطاقاتهم الابداعية، وفرصة لاتباع ميولهم الخاصة من خلال النشاطات والفعاليات التي تشحذ مواهبهم وتربي ذوقهم، وترهف حسهم" (ع٢٣).

ورغم اتفاقنا التربوي مع ما ورد أعلاه فانه ليس واضحاً إذا كانت المدارس الحكومية تعمل لهذا الاتجاه أو أن المدارس لديها الامكانيات لاتباع هذا الخط في ظل الدروس المتراصة والمنهاج المحكم والعمل الكبير الملقى على كاهل المعلم مما يفقد الحديث السابق قيمته وزاهر يقف على رأس هذه المؤسسة.

قيم ومعاني:

وردت هذه على شكل خواطر في أكثر من مكان، حاول زاهر من خلالها استنباط قيم ومعاني انسانية وشعورية، وليس واضحاً إذا كان التوجه هنا للمعلم أو للطالب أو للمجتمع، وليس واضحاً هدف كتابته، وما إذا كان يسعى لتحقيق أهداف تربوية عامة وايجابية أم غير ذلك، فهو يقول: "الفراغ إحساس وليس ظاهرة" (ع٥) يجب أن نعبئه "بالقراءة والنشاطات" (ع٥)، وتحت عنوان "كيف نصنع سعادتنا" يقول "السعادة شعور نفسه شعور نسبي يختلف في تعريفه وفي شرح أسبابه ودوافعه. إن قبولنا لأنفسنا،

وتقبلنا لطبيعتنا ولحظنا بلا خجل، وبلا قلق، والعمل بعد هذا داخل إطار شخصيتنا وقدرتنا على الخلق والابتكار.. كل هذه عوامل أساسية من شأنها أن تسعدنا، وشعور المرء بأن لديه عملاً لا بد أن يؤديه، يقوده حتما إلى الاحساس بقيمته ونفعه، وهذا الاحساس هو السعادة بعينها.

قراءة صحيفة الصباح، المشي في حديقة المنزل بين الزهور أو زيارة الاصدقاء والحديث معهم، تأمل الشمس عند الغروب، هذه الاشياء تملأ النفس والصدر غبطة وسروراً، لأنها تذكرنا دائماً ببهجة الحياة.

إن بعض أسباب السعادة نصنعها بأيدينا وبعضها قائم وموجود فينا، والفرق بين هذه وتلك هو نفس الفرق بين عملنا في الحياة، وبين فهمنا معنى وصور الحياة (ع٨).

وتحت عنوان: «يا قوم لا تتكلموا» (ع١٤) يدعو إلى التكلم فقط حين يكون الكلام نافعاً ومعززاً بالعمل، يقول «نحن لا نتكلم وإنما نصدر أصواتاً بالالفاظ، من يتكلم يخلق بالضرورة - أي يعمل، ولا يكون الكلام كلاماً إلا لأنه يقود إلى الفعل، أو ينبثق من الفعل. ما عدا ذلك يكون تصويتاً ولغواً. نحن لا نفعل لأننا لا نتكلم.

لا تستطيع أن تتكلم، وإن استطعت فأنت لا تتكلم كما يجب، وإذا تكلمت ما يجب، فأنت لا تتكلم في الوقت الملائم، وحين يجيء وقت ملائم لا يعود في إمكانك أن تتكلم، أو لا يعود للكلام معنى.

من جهتي لا أزال أطرح الأسئلة، أشعر أن قوتي الوحيدة هي في أن أطرح الأسئلة باستمرار، أريد أن أحيط كل شيء بأسئلتي. إن مكاني في العالم الذي يحرص ويقلق ويكشف من الاعماق والأعالي وجودي كله سؤال أطرحه على نفسي وعلى الآخرين في آن" (ع١٤).

ليس واضحاً إذا كان زاهر يقصد بذلك الانسلاخ عن المجتمع والعيش بقيم أخرى أم يقصد الاندماج في هذا المجتمع، وأحس بما أنه من المفترض أن يكتب تربية وليس أدباً أحس بأنه يميل للقصد الأول، بل ربما يدعونا "قبولنا لأنفسنا ولطبيعتنا ولحظنا بلا خجل"(!!) (ع٨) وفي نفس الوقت يدعونا إلى فهم الحياة وصورها بطريقة جديدة مختلفة، مما يضع قارىء هذه المجلة في تناقض وارتباك داخلي وضعف الثقة بالنفس.

ولا أستطيع أن أقرأ النص في (ع١٤) دون أن ألاحظ الفقرات المكتوبة بضمير المخاطبة (أنتم، أنت) والفقرات المكتوبة بضمير الأنا مما يضع علامة سؤال كبيرة حول المضامين التي أراد ايصالها، فهو العارف بكل شيء حتى لو كان ادعاؤه عدم المعرفة، والآخرين لا يحسنون عمل شيء وبالتالي لا يتكلمون.

خلاصة

إذا ما استثنينا مقالة محفوظ زاهر "غرفة الصف" (ع٢) والتي يتطرق فيها إلى العلاقة بين الوسائل الايضاحية المعروضة في الصف والمنهاج وتحقيق التوازن الصفي وعلاقة ذلك بالتوازن الطبيعي، فان معظم المواضيع الاخرى التي كتبها يمكن تقسيمها إلى جزئين، الأول يقترب فيه من الموضوع التربوي بشكل مباشر: العملية التربوية، المعلم، الطالب، الصف، ولكنه لا يعطينا فكرة واضحة عن ما يقصده في غياب إعطاء تعريفات لمصطلحاته أو لعدم وجود كتابة مفصلة ومنهجية حول هذه المواضيع، ولهذا ظلت المعالجة مائعة وعامة وغير جدية، أما الجزء الثاني فلقد عالج فيه ضابط التربية مواضيع عامة كانت أقرب إلى الخواطر الادبية مثل النجاح والسعادة والصدق والذي لا يستند فيه أيضاً إلى خط واضح مستمر بل ساده الاضطراب ربما بشكل مقصود مما يخلق ارتباكاً وتمييعاً للقضايا المطروحة، وإذا تابعنا المسألتين معاً فاننا لا نستطيع الامساك بمنهج ثابت ومستمر ومتطور فليس هناك خط أو طريق نستطيع تتبعه إلا ربما اصدار هذه المجلة وبالتالي فان الهدف الذي حدده زاهر لاصدار المجلة للاطلاع "على الجديد في النظريات التربوية والطرق والمساقات والاساليب الحديثة لينتقي منها -المعلم- الأفضل والملائم لجمهور طلابه" (ع١) لم يتحقق على الأقل من خلال مقالاته وهو راعيها وأول المساهمين فيها.

وأخيراً فان محاولتي هذه في أن تكون دراسة علمية تربوية، فانه لا بد أن مواقف مسبقة قد حكمت النظرة إلى هذه المجلة وهذا لا يتناقض مع الاسلوب العلمي في المعالجة، رغم أنني حاولت جاهداً ألا أربط مقالاته ومقولاته مع الظروف المحيطة وبالذات الانتفاضة وتفاعلاتها.

الجزء الثاني

تقديم:

الجانب الآخر الذي أود تناوله في هذه الدراسة للتعرف على السياسة التربوية للادارة المدنية ممثلة بضابط التربية والتعليم، الجانب الآخر هو "الخواشي"، وما احتوته من حكم وأمثال وقصص وآراء مختصرة في كافة مجالات الحياة. وكما يقول كارنوي (Carnoy) في كتابه (Education as cultural Imperialism) بأن التربية في العالم الثالث هي عملية امبريالية ثقافية، وأن الصورة الجميلة التي تظهرها الدول حول أهداف التعليم وهو اللحاق بركاب الأمم وتحقيق التقدم ما هي إلا صورة خاطئة لأن

المهم هو الدور الخفي الذي تؤديه هذه المدارس. ويصبح الاعتقاد هنا بأن الحواشي المطبوعة بالخط العريض وفي معظم صفحات المجلة تقريباً تؤدي هذا الدور، الدور الخفي.

إن هذه الحواشي يمكن تشبيهها بالاعلانات التجارية التي نسمعها ونراها بواسطة المذياع والتلفاز، وبالتالي فانها الأكثر أهمية لمديري المؤسسات الاعلامية.

ولقد اعترض البعض على هذا الجانب، فقال بعضهم بأنها مستخلصة من المقالات المدونة في المجلة، وهذا غير صحيح بالكامل، إذ أن الكثير منها جاء من خارج المقالات بل ووضع في صفحات مستقلة كما لو كانت مواضيع بعينها وحتى وإن كانت قد أخذ بعضها من مقالات في المجلة فان عملية الانتقاء لها أسلوبها مرتبطة بالشخص أو الاشخاص وتكويناتهم النفسية والعلمية في الاختيار. وقال البعض الآخر بأن من كان يختار هذه الحواشي أي شخص عنده مثل هذه المقولات أو عامل المونتاج أو حتى صاحب المطبعة المكلفة بعمل المونتاج. والرد على ذلك بأنه وإن كان هذا صحيحاً فان رقابة بشكل ما لا بد وأن تكون قد فرضت على المجلة وإلا لماذا لم يتم اختيار مقولات أخرى (سياسية، اجتماعية، تاريخية، شعر، .. الخ) وتربط الانسان بواقعه والمجلة تصدر في عهد الانتفاضة.

وأخيراً فاننا نظلم المجلة والقائمين عليها إذا اعتبرناها مجلة متماسكة بالكامل، ولا ندعي تآمر هؤلاء، فهي مجلة مضطربة، لكن صدورها له أهمية، ونعني هنا بدراستها علمياً لاكتشاف السياسة التربوية التي يريدون.

المواضيع المتناولة:

يمكن القول بأن المجلة تناولت معظم المواضيع التي تخطر بالبال، بل يمكن اعتبار مواضيعها تمس الحياة بشكل كبير، وبهذا يمكننا القول بأن لها هدفاً تربوياً، فهناك مواضيع في التربية والتعليم تحث على طلب العلم ووظيفة المعلم، والمثابرة، والمرأة، والديمقراطية، والاجتناب، والصحة، وحكم وأمثال في كل المجالات وقيم اجتماعية وطرائف. ونستطيع القول بأن معظم ما كتب جاء من امهات الكتب العربية، وسير لرجال علم ودين في التاريخ العربي والاسلامي، وأحاديث شريفة، وأحياناً آيات قرآنية. إلا أن ذلك لا يعني شيئاً ذا بال، فنحن لا نحكم على قول وموضوع من خلال السياق الذي جاء به في ذلك الكتاب، بل من السياق الذي يجيء به في المجلة، وإن عملية الاختيار قام بها أشخاص لهم توجهاتهم ومزاجهم وبالتالي تأثيرهم.

التربية والتعليم:

هناك الكثير من النصح والارشادات والامثال والحكم العامة حول التعليم، ولنبدأ بقول النبي (ص) "أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" (ع١ص٣٨) و "ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك" (ع١٤ص١٠)، و "قال عبد الملك بن مروان لبنيه: يا بني، تعلموا العلم، فان كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطاً سُدتم، وإن كنتم سوقة عشتم" (ع٤ص٣٣). و«... ان طالب العلم يسعى اليه، أما العلم فلا يسعى إلى أحد» (ع٤ص٣٣)

أما أهداف التربية فنكاد لا نجدها الا مرة واحدة تحت عنوان "المعلم مهندس الامة": "إن الذي قال «الأمة من معلمها» قد قال شيئاً كثيراً، فمعلم اليوم يبني أمة الغد، لأنه يتعهد بالرعاية والتوجيه تفتح عقول الطلاب، واضطراب عواطفهم، ونشوء مواقفهم ونظراتهم للانسان والحياة والكون، وتكون المثل العليا والقيم في نفوسهم، لذلك هو بناء الأمة ومهندسها" (ع١ص٣٠)

والمعلم كما ذكر أعلاه "بناء الأمة ومهندسها" هو التعريف الوحيد والايجابي، أما ما ورد حول المعلم فهو سلبي بدرجات متفاوتة، بدءاً بـ «معلمي: طالبك هو ابنك فعامله على أنه فلذة كبدك وستفخر به أمتك» (ع١٦ص١٧)، إلى الحض على التعاون «أخي المعلم: لن تنجح مسيرتنا التعليمية الا إذا وضعت يدك بيد أخيك المعلم الآخر في المدرسة وعملتما معاً بضمير» (ع١٦ص٣٠)، وانتهاءاً بـ«عندما انشغل المعلم بأمور غير التدريس، واعتبر مهنته الحقيقية عملاً إضافياً، فقد منزلته بين الطلاب خاصة، وفي المجتمع عامة» (ع١٢ص٢٧) و"ظاهرة الدروس الخصوصية تفقد عملية التعليم جماليتها" (ع٨ص١٤).

أما عن طرق التدريس، تقول المجلة: "التعليم هو ما يبقى بعد أن نكون قد نسينا كل ما تعلمناه" (ع٤ص٤٨)، و"حشو المعلومات باكراه في عقول الاطفال لا تفعل شيئاً سوى أنها تعرقل الذكاء وتخنقه، ولكي يتم هضم المعرفة والمفاهيم هضماً صحيحاً لا بد أن يتم بلعها بشهية" (ع١٥ص٣٦) كما أن هناك ذكراً للألعاب الفردية والجماعية واعتبرناها هنا من طرق التدريس:

"الالعاب الفردية: تبعث في النفس بذل الجهد والشعور بالمسؤولية.

الالعاب الجماعية: تعود النظام والتعاون والقيادة والتبعية." (ع٨ص٣٠)

ولم يتم التطرق في هذا الباب للمنهاج، وطبيعة المدرسة، ولم نعرف ماذا يعنون بالادارة الناجحة أو حتى الأهداف التي حاولنا اجترارها. ولم يتم التطرق لمشاكل الطلبة وسبل حلها وخاصة المشاغل والامتحانات وغير ذلك. بل أنه تم فقط التطرق للمواضيع التي ذكرت بذلك الشكل المبتور.

قيم - حكم وأمثال

تكاد هذه تكوّن معظم "الحواشي" التي وردت في أعداد المجلة، وهذا يؤكد الدور الذي تتوجه فيه المدارس وهو انتاج قيم جديدة في المجتمع أو حتى الابقاء على قيم موجودة، وسأحاول هنا أن أقسمها إلى قسمين. الأول ايجابي والثاني سلبي، بشكل الصيغة وإن لم يكن ذلك يمس الفكرة.

الحرية: الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأي، ونشر كل مذهب وترويج كل فكر (ع٧ص٢٤) "لن تنزل الحرية إلى الناس، بل يجب أن يرفعوا أنفسهم إليها، فهي نعمة ينبغي أن نشقى من أجلها قبل أن نتمتع بها (ع٥ص٣٩).

النجاح: النجاح قتل من الرجال أكثر مما قتل الرصاص (ع٧ص١٦).

التسامح: يا رب علمني أن التسامح هو أكبر مراتب القوة، وأن حب الانتقام هو أول مظاهر الضعف (ع٣ص٢٤)

العدل: كتب والي حمص إلى عمر بن عبد العزيز يستأذنه في بناء سور على المدينة ليحصنها ويمنعها من الاعداء، فجاءه رد الخليفة السريع الحاسم: حصن مدينتك بالعدل (ع٣ص٣١)

البر والاثم: قال حكيم: إذا تعبت في البر، فان التعب يزول والبر يبقى، واذا وجدت لذة في الاثم فان اللذة تزول والاثم يبقى" (ع٣ص٧).

قساوة ولين: قال الفيلسوف لتلميذه الصغير "أنظر إلى فمي.. هل ترى لساني فيه باقياً؟ قال التلميذ: نعم.. إنه موجود في فمك.." قال الفيلسوف لتلميذه: "أنظر إلى فمي .. هل ترى فيه أسناني؟" قال التلميذ: لا توجد أسنان في فمك. قال الفيلسوف لتلميذه: "لماذا ذهبت الاسنان وبقي اللسان" فسكت التلميذ، ولم يدر ما يقوله، قال الفيلسوف "لقد ذهبت الاسنان لقساوتها وشدتها، وبقي اللسان لنعومته ولينه" (ع٤ص٣٩).

أما الجانب السلبي، والذي يمكن أن نضعه تحت عنوان الاجتناب فلقد تم تناوله على الوجه التالي:

رفاق السوء: قبل تنفيذ حكم الاعدام بأحد المجرمين، أتيح له أن يخطب في الناس فقال: "إنني -وأنا أشرف على نهايتي- أقول: بأن موتي ليس نتيجة ارتكابي جريمة القتل، ولكنه في نظري نتيجة العشرة الخبيثة مع رفاق السوء. فانتبهوا إلى من يعاشرهم أبناؤكم يا معشر الآباء والأمهات"" (ع٢ص١٧)

أشياء تدمر الانسان: الحياة بلا مبادىء، المتعة بلا ضمير، الثروة بلا عمل، المعرفة بلا قيم، التجارة بلا أخلاق، العلم بلا إنسانية، العبادة بلا تضحية" (ع٢ص٢٢)

الفراغ مفسدة: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: احذركم عاقبة الفراغ فانه أجمع للمكروه. ويضيف إن كان الشغل مجهدة فالفراغ مفسدة (ع٢ص٣٤)

ديمقراطية: يقول الحسن بن علي: الناس ثلاثة، فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل. فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة، وأما نصف الرجل فالذي له الرأي ولا يشاور. وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي لا رأي له ولا يشاور" (ع١٥ص٤).

المرأة: يحمد في المرأة:

١) أن تكون ذات خلق عال، ونغم راحم، فاني والله لأرى أنهم قد حفروا للمرأة قبراً ثم وأدوها فيه ثم حيّوها بعد الوأد فرحين مهللين بصرعات الموضة.

٢) أن تكون ذات لون أبهج، وكلام رخيم، وضحك شهي، وخلق رضي، معتدلة القوام، حسنة الابتسام، لا سمن مفرط، ولا هزل مفرط.

٣) أن تكون خفيفة الروح، سريعة الحركة، مليحة الضحك، رامية حافظة، بعيدة عن المغريات، سائلة المولى الرحمة والمغفرة. (ع١٨. ص٢٧)

"تظل المرأة تشعر بالقلق على مستقبلها حتى تجد زوجاً، ولكن لا يشعر الرجل بالقلق على مستقبله إلا بعد أن يجد زوجة" (ع٤ص٤١).

خصال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

"من استطاع أن يمنع نفسه أربع خصال فهو خليق بأن لا يذل به من المكروه ما يذل بغيره: اللجاجة والعجلة والعجب والتواني. (ع٢٥).

هذا بالاضافة إلى العديد من الامثال والحكم والأقوال التي ذكرت عبر التاريخ، ويمكن لأي محايد أن يرى أن لا غث في ذلك، ولكن من الصعوبة بمكان إخراج هذه "الحواشي" من الجو الذي كتبت فيه (الاحتلال والانتفاضة) وبالتالي فاننا مضطرون لأن نجد في ذلك معنى وقصداً تشكيكاً واضعافاً للثقة بالنفس... الخ. وهذا ليس بغريب إذا ما عرفنا بأن الأغاني التي تبث عبر الاذاعة خاصة في ايام الحرب تكون موجهة نفسياً تجاه الشعب الفلسطيني والشعوب العربية، ومع عدم الرغبة في أن نضع أنفسنا موضع الضحية وكأننا مركز العالم فانه لا بد أيضاً من التنبه للأغراض التي يتم بثها. وهذا لا يعني أيضاً أن تكون العديد من الامثال والحكم بثت هكذا حتى لا يتم الاعتراض على الاطار الذي جاءت فيه.

طرائف!!:

هذه الأكثر إثارة فيما ورد في هذه المجلة، ومعظمها يدور على لسان أعرابي موجها نقده للدين من قرآن وأحاديث شريفة، بل ان بعضها يمكن اعتبارها فاضحة، ومعظم هذه وردت في عدد واحد من المجلة.

- سمع أعرابي قارئاً يقرأ القرآن ويقول:

"الأعراب أشد كفراً ونفاقاً"، فقال: لقد هجانا، ثم سمعه يقرأ: "ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر، فقال: لا بأس. هجانا ومدح. هذا كما قال شاعرنا:

هجوت زهيراً ثم أني مدحته

وما زالت الأشراف تهجي وتمدح

(ع٢٦ص٧)

- أتى إلى الخليفة العباسي المتوكل بأمرأة ادّعت النبوة، فقال لها: أنت نبية؟ قالت: نعم، قال: أتؤمنين بمحمد؟ قالت: نعم. قال: فانه قال لا نبي بعدي.

قالت: فهل قال لا نبية بعدي؟ فضحك وأطلق سراحها. (ع٢٦ص١١).

- سرق أعرابي اسمه موسى، صرة فيها نقوداً، ثم دخل المسجد يصلي، فقرأ الامام: "وما تلك بيمينك يا موسى" فقال الاعرابي: والله إنك لساحر. ثم رمى الصرة وخرج. (ع٢٦ص١٤).

- سمعت إمرأة في الحديث، أن صوم عاشوراء، كفارة سنة، فصامت إلى الظهر، ثم أفطرت وقالت يكفيني ستة أشهر منها شهر رمضان (ع٢٦ص٣٨).

- التقى أعرابي بامرأة في الطريق، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: مكة. قال: أتأذنين لي أن أقبل الحجر الأسود؟ قالت: ألا بالزاد والراحة.(ع٢٦ص٤١).

من هنا يتبين مدى الخبث الذي تمتع به القائمون على المجلة، في التشكيك بالدين وبذر الفرقة بين الاعراب والدين، بل واستخدام الدين وآياته وأحاديثه كموضوع للهزل، ونذهب إلى أكثر من ذلك ونقول بأن ورود معظم هذه في عدد واحد (ع٢٦) ربما جاء كتجربة لاستكشاف ردود فعل المعلمين والناس، ربما للتمادي في ذلك في مراحل لاحقة، وأننا نقدر بعض المقالات التي كتبت حول هذا الموضوع رغم عدم اتفاقنا مع لهجتها، فنحن هنا نقوم بدراسة موضوعية لآراء القائمين على التربية والتعليم في ظل الاحتلال.

خاتمة:

اعتبرنا أن ما تم كتابته في الحواشي لهو بالغ الأهمية، ومنه يمكننا أن نحدد ما تريد الادارة المدنية من وراء إصدار مجلة أضواء على التربية، ولاعتبارنا أن هذه المجلة موجهة فان ما جاء لم يكن عبثاً أو ملئاً لفراغ أو لظروف وطبيعة المونتاج. وبعد مراجعة ما تم كتابته وجدنا أن الحض على التعليم الذي رأيناه كان مجرد كلام عادي، وربما جاء بالصدفة، ولا نقول أن المسؤولين غير عارفين بذلك فهم مسؤولون ومن المفترض أن يكونوا ملمين بالمجال الذي يعملون فيه.

أما النصيب الاكبر فكان للحكم والامثال والأقوال مما يدفعنا للقول بأن المجلة أرادت خلق قيم جديدة وحذف قيم أخرى، ولقد تم تناول معظم المجالات في الحرية والنجاح والتسامح والعدل والديمقراطية، وإن طريقة الصياغة لهذه تدفعنا للقول بأن في الأمر لشيئاً يراد به التشكيك بالنفس والشعور بالدونية، ولا يلغي هذا الموقف إن كان قد تم الاستشهاد بأقوال صحابة أو علماء، فالمهم ما تم قوله في غياب سياسة تربوية واضحة.

ولعل الأمر الأكثر إثارة وتعزيزاً لما تم طرحه سابقاً هو مجموعة الطرائف. والتي لا تحتاج إلى تعليق كثير، فالمس بالدين ووضعه موضع التساؤل و"المسخرة" أمر واضح، وهذا يؤكد دور المجلة في محاولتها جعل الانسان بلا قيم ذات مكانة، وربما هذا ما تريده كل المجلة.

وراء الرجل..

د. أمين الحاج يحيى

بمناسبة يوم المرأة العالمي ويوم الأم يهمنا جميعاً الوقوف على أوضاع وظروف وامكانات المرأة الفلسطينية حاضراً ومستقبلاً.

المرأة الفلسطينية من حيث مكانتها وأوضاعها الاجتماعية، ما زالت تحتل مكانة متخلفة وراء الرجل الفلسطيني. ذلك على الرغم من بعض الانجازات المهمة التي حققتها في العقدين الاخيرين وخصوصاً في فترة الانتفاضة. هذه الانجازات حسنت من مكانتها عما كانت في فترات سبقتها، بل ورفعت منها مقارنة بمكانة نساء عربيات في مجتمعات عربية. هذا التحسن يأتي رغم التراجع في مركبات مادية مهمة (هبوط مستوى المعيشة، ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض الاجور وغير ذلك)، لتكوين ورفع المكانة والمركز الاجتماعي. عدا ذلك طرأ تحسن في رؤية المرأة الذاتية، وثقتها ووعيها الاجتماعي. وأيضاً، بقيمتها وقوتها الاجتماعية. لقد نجحت الحركة النسائية إلى حد بعيد في إثارة وعرض مواضيع وقضايا نسائية ووضعها على بساط البحث والاهتمام الاجتماعي. مما يؤكد هذا الاتجاه الايجابي والتحول في مكانة المرأة هو نتاج استبيان أظهرت معطياته أن ٣٥٪ من المجيبين يوافقون و٢٠٪ يوافقون مع بعض التحفظ أن تكون امرأة في منصب رئاسة الدولة في حالة قيام الدولة الفلسطينية. كذلك، فان ٤٥٪ و٢١٪ يوافقون أو يوافقون مع بعض التحفظ، على التوالي، أن تكون امرأة في منصب رئيس الحكومة. أيضاً ٥٠٪ و٢٦٪ يوافقون أو يوافقون مع بعض التحفظ أن تكون النساء ممثلات بشكل كامل في مجلس وطني أو برلمان. عدا ذلك، أظهرت نتائج الاستبيان أن ٣٠٪ من المجيبين يوافقون على مساواة كاملة بين الرجال والنساء مقابل ٣٦٪ ممن يوافقون على المساواة ولكن ليس في جميع المجالات. أيضاً ٥٠٪ من المجيبين يوافقون أن للمرأة مؤهلات كالرجال للقيام بمهام وأدوار اجتماعية. هذه النتائج يمكن رؤيتها كايجابية وتبعث على التفاؤل بالنسبة لمكانة المرأة المستقبلية. ولكن إلى أي مدى تمثل هذه النتائج الواقع الفلسطيني وما سوف تؤول إليه مكانتها وظروفها الخاصة وتقدمها في المستقبل المنظور.. هذا السؤال يطرح نفسه في ظل التغييرات السياسية التي تشهدها الساحة الفلسطينية والعربية، والتي لا بد وأن يرافقها تحولات اجتماعية واقتصادية وغيرها. كذلك نتيجة التوجه نحو بلورة كيان فلسطيني مستقل تشكل المرأة فيه نصف المجتمع ويكون الفلسطينيون مقررون لمصيرهم.

إن مستقبل المرأة الفلسطينية هو دالة لمدى علاج مشاكلها وإشباع حاجاتها الاساسية. هذه الحاجات والمشاكل مرتبطة وتنحدر من الظروف والوقائع التالية:

٠١ علوية النسق الاجتماعي - التقليدي

يتسم المجتمع الفلسطيني بوجود قيم وأعراف اجتماعية سائدة ومسيطرة وذات تأثير على أبناء المجتمع. بعض هذه القيم تؤكد علوية الرجل وضعف المرأة، وآراء مسبقة تقلل من قيمة المرأة وقدراتها. عدا ذلك توجد أعراف اجتماعية قوية تحد من حركة المرأة وتراقب سلوكها وأفعالها وتمنع منها الانطلاق والتعبير الحر. عمليات التنشئة الاجتماعية التقليدية مغروسة في المجتمع، لدرجة أن بعضها يجعل المرأة تقبل أوامر المجتمع التي تحد من مساواتها ومعاملتها بالتساوي مع الرجل. استمرارية هذا الوضع وعدم تغييره ينال من مركزها الاجتماعي ويقلل من توقعاتها من نفسها وتوقعات المجتمع منها.

٠٢ مبنى الاقتصاد الفلسطيني:

المبنى الاساسس للاقتصاد الفلسطيني موجود تحت سيطرة الرجال. النساء ما زلن يعرفن كقوة عمل ثانوية، بأجرة متدنية وكأجيرات لدى أصحاب رؤوس الاموال. سيطرة الرجل على وسائل الانتاج هو بشكل

غير مباشر سيطرة على المرأة.

٠٣ مبنى السياسة الفلسطيني:

النساء الفلسطينيات ما زلن بعيدات عن مراكز اتخاذ القرار في النسق السياسي. تمثيل النساء الفلسطينيات داخل التيارات والاتجاهات السياسية المختلفة، وكذلك في المؤسسات الوطنية (كالمجلس الوطني) ما زال منخفضاً ويعتبر رمزياً. يمكن القول أيضاً إن تأثير المرأة على مصيرها وعلى الاتجاهات السياسية والمجتمع ما زال ضعيفاً. ذلك على الرغم من نشاطات المرأة في مجالات السياسة والنضال القومي.

مبنى الاقتصاد السياسي والضبط الاجتماعي أدى إلى أن تكون المرأة الفلسطينية اتكالية ومنضبطة نفسياً واجتماعياً بدل أن تكون مبادرة وخلاقة. المرأة ما زالت بوضع تستجيب فيه للتغييرات الاجتماعية والاقتصادية ولا تملك وسائل التغيير والتجديد. لذا فان التغييرات التي تمر على المرأة الفلسطينية لا بد وأن تكون تدريجية وبطيئة ولا يمكن أن تكون سريعة وثورية. من هذا المنطلق يمكن القول إن المرأة الفلسطينية هي موضوعية وتعمل من أجل انجازات وقتية وللمدى القصير.

واقع المرأة الفلسطينية وظروفها المبينة أعلاه، جعل الحركة النسائية ونشيطات فيها ينادين بدعم الرجل والرأي العام بتحقيق بعض المطالب:

* تخفيض الضغط والضبط الاجتماعي: حيث أن المرأة الفلسطينية معرضة لضغط مزدوج، في مجال الاسرة والمجتمع ونتيجة استمرارية الاحتلال. النساء معنيات بتخفيض الضغط الاجتماعي وإعطاء شرعية وتقبل لطلبات التحرر من بعض القيود التقليدية.

* النساء بحاجة إلى تقوية الذات والاعتراف الاجتماعي: ذلك ينبع من وعي المرأة أن توسيع وتعميق تعليم المرأة وخروجها للعمل لا يكفي لقبول مكانة مساوية للرجل. يهم المرأة الفلسطينية بالذات الاعتراف الاجتماعي وقبول الرجل للتغيير، ويظهر ذلك في تشجيعه ودعمه النفسي والمعنوي والعملي. قيمتهن الاجتماعية في نظر الرجل تساوي لديهن انجازات في مجالات التعليم والعمل.

* مساواة في الفرص: تؤكد الجمعيات النسائية أهمية موضوع المساواة في الفرص بين الجنسين، كوسيلة لتحسين ظروفهن وتحقيق ذاتهن. الجمعيات تنادي بتحقيق حقوق مدنية وقانونية، وسن قوانين جديدة لتغيير مكانتهن الذاتية والاجتماعية.

مكانة المرأة الفلسطينية اذن متعلقة بمدى سيطرتهن على موارد اقتصادية وسياسية. تقدم المرأة متعلق أيضاً بالمواقف الاجتماعية التي يتخذها كل من النساء والرجال. لمواقف الرجال الفلسطينيين من قضايا نسائية ومن مواضيع تخص المساواة وتحرر المرأة، لها أهمية خاصة في مجتمع محافظ ونامي. لذا، الاعتراف الاجتماعي بقضايا المرأة الخاصة، يعطي أولوية لعلاج مشاكلها والاهتمام بحاجاتها.

الحقيقة أن المرأة الفلسطينية تعرضت منذ بداية الانتفاضة في ديسمبر ١٩٨٧، وبشكل مكثف وحاد أكثر من الماضي، إلى مسارين أو عمليتين متناقضتين في الاتجاه:

المسار الاول، هو عملية تحرر وتغيير، ومن خلاله منحت المرأة الفرصة للتعبير عن الذات ورفع دافعيتها للقيام بأدوار جديدة نبعت من كون المجتمع الفلسطيني يدير نضالاً قومياً.

أما المسار الثاني، فهو مسار من الانغلاق والمحافظة، كاستجابة للضبط . ملموس في مستوى المعيشة، وتضاعف الاجتماعي.

المرأة هنا تكتفي بالقيام بوظائف تقليدية والمحافظة على مكانتها الحاضرة وفي بعض الاحيان تتنازل عن بعض الانجازات الاجتماعية.

بشكل عام، للمرأة لا توجد سيطرة على هذه المسارات التي تمثل قوى اجتماعية، وهي في حدوثها تحدد ماهية مكانة المرأة ووضعها الاجتماعي في الحاضر والمستقبل. هذه القوى تمثل أيضاً إلى مدى بعيد قوى التغيير والمحافظة الموجودة في المجتمع الفلسطيني.

في المسار الاول، شاركت المرأة بشكل فعال بأحداث الانتفاضة وقامت بأدوار مهمة وجديدة، وبرزت على الخصوص في السنوات الاولى للانتفاضة. عطاء المرأة ونشاطها السياسي منحها اعترافاً وتقييماً ايجابياً في المجتمع، ومكانتها بين نساء العالم ارتفعت بالمقارنة مع الماضي. مع ذلك فمن الصعب رؤية هذا التحول الايجابي كدالة لوضعها المستقبلي ولمدى التغيير الذي سوف يحدث فيه، وأيضاً لا يمكن الجزم أن هذه التغييرات هي نهائية وخصوصاً بسبب ما استثمرته المرأة في مجال النضال القومي. ولكن لا يمكن التغاضي عن مثال المرأة الجزائرية. حيث في فترة كفاح الجزائر للتحرر ارتفعت مكانتها وعلا شأنها، ولكن سرعان ما حصل التراجع بعد الاستقلال.

الكثير من الاحداث والظروف المرتبطة بالانتفاضة أو نتيجة لها، قد أبطأت من عملية التطور في وضع المرأة بل نشطت من وقوع وتأثير المسار الثاني. والذي بدأ فيه تراجع بالانجازات وتضاعف بالقوى المحافظة. هذا المسار يمثل ويعبر عن تضاعف مشاكل العمل والبطالة، والهبوط في مستويات الدخل الاسري والفردي، وانخفاض

القوى الاصولية وغيرها. هذه الظروف سببت انغلاق الفتيات بالبيوت وتضاعف اتجاهات الزواج المبكر، بخروج شابات من دائرة التعليم والعمل، وتضاعف ارتباط المرأة نفسياً واقتصادياً بالعائلة.

وحيث أن المسارات المذكورة تحدث معاً، فانه من الصعب إحصاء مدى التأثير المتجمع لها على مستقبل المرأة. على ما يبدو فان القوى المحافظة لا تقل في تأثيرها ووقعها عن قوى التغيير. لذا فان نشاط المرأة ونضالها من أجل التغيير الاجتماعي وتغيير وضعها هو ضرورة ملحة، ولكن على ما يبدو فانه لا يكفي لتغيير جدي وجذري في الظروف والمكانة الاجتماعية، إذا لم تكن هناك موافقة ودعم وشرعية جماهيرية وشعبية. هذا الشرط غير موجود حالياً في المجتمع الفلسطيني، خصوصاً وأن السيطرة الاقتصادية - السياسية هي حكر على الرجال.

روميو وجولييت
في القدس

تبدأ في الثامن عشر من حزيران ١٩٩٤ العروض الرسمية لمسرحية شكسبير "روميو وجولييت". والمسرحية هي أول انتاج مشترك بين مسرح فلسطيني هو مسرح القصبة المقدسي ومسرح اسرائيلي هو مسرح الخان الاورشليمي. وستجري العروض في عنبر تابع لشركة الكهرباء القطرية في شارع بيت لحم قرب مسرح الخان في القدس.

ويقول القائمون على المسرحية ان فكرة انتاج عمل مشترك بين اسرائيليين وفلسطينيين، ظلت تشكل على مر السنين، تحدياً للمسرحيين من أبناء الشعبين، المؤمنين بضرورة قيام علاقات احترام متبادل بينهما.

ويقوم باخراج المسرحية مخرج عربي هو فؤاد عوض، ومخرج يهودي هو عيران بنيئيل، كما قام بالترجمة الشاعر حسين البرغوثي الى العربية، والأديب والاذاعي اهود مانور الى العبرية، ويؤدي ممثلون عرب ادوار عائلة مونتاجيو مثل:

خليفه ناطور في دور روميو

محمد بكري في دور مركوشيو

ضرار سليمان في دور بنفوليو

ختام أدلبي في دور والدة روميو

وممثلون آخرون مثل: خالد المصو، حسام جويلس، مها المغربي. أما جورج ابراهيم فيؤدي دور والد روميو اضافة الى كونه منتج المسرحية من الجانب الفلسطيني.

أما أدوار عائلة كابيوليت فيؤديها ممثلون يهود منهم:

اورنا كاتس في دور جولييت

بوريس اخنوف في دور والد جولييت

عليزا روزن في دور الحاضنة وغيرهم.

أما بسام زعمط فيؤدي دور القسيس، بينما يؤدي غسان عباس دور ممثل القضاء.

ويذكر أن مهرجان ليل المسرحي (فرنسا) يشارك في الانتاج، وسيقوم باستضافة عروض المسرحية لمدة أسبوع خلال فترة انعقاده التي تبدأ في الثامن من تشرين الثاني ١٩٩٤.

Al-Mashriq Insurance
المشرق للتأمين
نحن نعطيك الامان
من هنا نبدأ معاً....
المشرق للتأمين
عنوانك للأمان وضمانة للمستقبل
وكلاؤنا في كل مكان
المركز الرئيسي :البيرة - عمارة سوق البلدية التجاري -الطابق السابع - تلفون :٦ - ٩٥٨٠٩٠-٠٢
فاكس: ٩٥٨٠٨٩ - ٠٢-٩٧٢ : ص.ب ١٦٠٠ رام الله ، برقيا :المشرق

سكودا

IQ + ❤ = ŠKODA
Volkswagen Group

من فولكس فاجن

دوبل كابينا

سكودا من جبال الألب والكربات في أوروبا

إلى

جبال وسهول الضفة الغربية وقطاع غزة

شركة المصري التجارية

وكلاء عامون سكودا في الضفة الغربية

رام الله - تلفون ٩٥٣٦٥٧ فاكس ٩٥٦٦٦٠-٢،

أطلس .. نكهة بلا حدود
تحذير رسمي : التدخين قد يضر بضحكتك
Atlas
VIRGINIA
أبو دلو
شركة سجاير القدس المساهمة المحدودة

كل عام وأنتم بخير

شركة سنمار للكمبيوتر

olivetti

نعم... أوليفيتي

الكمبيوتر ذو الجودة العالمية!

بـ ٢٧٨٠ ش.ج

٦٣٠ ش.ج × ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

PCS 40 S25 486 מחשב

4M.B - זכרון

1.44M.B - כונן

S.V.G.A 0.28 מסך

Windows. Dos

olivetti DM 124 طابعة كمبيوتر ذات جودة طباعة عالية

- عدد الأبر برأس الطابعة 24
- ذاكرة كبيرة 40 KB
- عدد اللغات 7
- عرض الطابعة "8

السعر: ٢٢٥ ش.ج × ٦ أقساط

السعر يشمل ض.ق.م

olivetti OFX 100

جهاز فاكسيليا

استعمال سهل

للجهاز (٢ أزرار)

متوفر بين

فاكس / بكرة ورقة الكترونية /

صانف

السعر: ٣٣٣ ش.ج

السعر يشمل ض.ق.م

- استقبال أوتوماتيكي / يدوي • امكانية طلب كلام خلال الارسال
- ١٦ مستويات عادية • تصوير مستندات • تقارير استقبال وارسال

olivetti OFX 3100

- فاكسيليا تستعمل ورقا عاديا حجم A4 بجودة عالية وتترك ورقة حجم A3
- طباعة بطريقة رش الحبر (Bubble Ink Jet) הזרקת דיו
- ارسال أوتوماتيكي عن طريق الذاكرة حتى ١٠٠ رقم مختلف
- تصوير مستندات ورقة عادية حتى ٩٩ نسخة.

** استقبال عن طريق الذاكرة في حالة انتهاء الورق أو الحبر في الفاكس.

لمزيد من التفاصيل الرجاء الاتصال بنا ...

Sinimar سنمار סנמאר

الناصرة - مقابل مسجد السلام

٥٦٥٥٧٥ ☎ ٥٦٥٥٧٤ ☎ ٥٧٨٠٥٥

الارشاد النفسي في مرحلة الشيخوخة

شعلان بحر

إن الشيخوخة مجموعة تغيرات جسمية ونفسية ومن التغيرات الجسمية ضعف القوة العضلية، ضعف الطاقة الجسمية والجنسية، ومن التغيرات النفسية ضعف الذاكرة، ضيق الميول والاهتمامات وشدة التأثر الانفعالي.

وما يهمني في هذا المجال الشيخوخة النفسية. فالوصول إلى سن (٦٠-٦٥) ليس علاقة بداية الشيخوخة هذا هو التقدير القانوني فقط وليس له صلة ببداية الشيخوخة الحقيقية، ربما تكون قبل ذلك السن وقد تكون بعده.

نستطيع أن نتحدث عن مقياسين اثنين وهما:

١- النظرة الاجتماعية أي عندما يعتبر الآخرون بأن شخصاً أصبح مسناً.

٢- النظرة الذاتية أي عندما يعترف الشخص نفسه بأنه مسن.

ان للزمن تأثير مهم على ظاهرة الشيخوخة بشكل عام. وعند التعامل مع مشكلة الزمن لا بد وأن نأخذ بعين الاعتبار ما اتفق عليه الباحثون في علم الاجتماع وهو

٠١ الوقت شيء موضوع وقائم بذاته.

٠٢ الوقت غير موجود موضوعياً بل هو نتاج ابداعنا الروحي

إذن نستطيع أن نميز بين السن الزمني = من الولادة حتى الموت

السن الاجتماعي = نظرة المجتمع لمراحل النمو

السن النفسي = نظرة المسن الذاتية لنفسه وشعوره لمراحل حياته المختلفة

السن البيولوجية = مرتبط بوضع الانسان الجسمي ومن الناحية الوظيفية - الجسمية.

إرشاد الكبار: نعني بها المساعدة في رعاية وتوجيه الشيوخ نفسياً ومهنياً واجتماعياً، ويهدف الارشاد في هذه المرحلة الى مساعدتهم في جعل هذه المرحلة خير سني العمر عن طريق مساعدتهم في تحقيق أفضل مستوى من التوافق والصحة النفسية.

فمن الجدير بالملاحظة أن نسبة كبيرة من المسنين يصلون إلى مرحلة الشيخوخة دون تحضير وكان العملية تحصل بشكل فجائي، مما يخلق ذلك أزمة نفسية، ويؤدي ذلك إلى القلق، الاكتئاب، الاحباط وينتج عن ذلك انعدام التوازن بين الحاضر والماضي والمستقبل.

فبعض الشيوخ لا يعترفون بالشيخوخة ويبذلون المحاولات لاستعادة الشباب مظهراً وسلوكاً فيصبغون الشعر ويتزوجون الصغار وقد يؤدي ذلك إلى مشاكل تتطلب خدمات الارشاد تتخلل مرحلة الشيخوخة بعض المشكلات منها:-

٠١ المشكلات الصحية كالضعف الجسمي، الجنسي، تصلب الشرايين

٠٢ المشكلات العقلية كضعف الذاكرة، الانطواء، الاكتئاب.

٠٣ المشكلات الاجتماعية ومنها:

الشعور بالوحدة والقلق ففقدان المسن البعض من أصدقائه وفقدان الوظيفة أو العمل تخلق لديه أزمة نفسية واجتماعية فيشعر بالوحدة والقلق، فيصبح فريسة للاحساس بقرب النهاية. من هنا نرى أن من يعمل ويتعامل مع المسن عليه أن يأخذ هذه الامور بعين الاعتبار، إن العلاج في هذه المرحلة يجب أن يشمل المسن والبيئة معاً وبالأخص تغيير النظرة لدى المجتمع والبيئة المحيطة نحو المسنين والا ينظر للمسن كعقبة في طريق التقدم. ومن أنجح الطرق لتغيير النظرة الذاتية للمسن إعطائه دوراً في المجتمع يعيد إليه شعوره بالاهمية ليشعر بأنه شخص مرغوب فيه ومنتج وفعال لا زالت له أهمية في الحياة.

إن إرشاد المسنين واجب انساني بالدرجة الاولى فيجب الاعداد الوقائي لهذه المرحلة قبل حلولها، والتعامل مع هذه المرحلة تتطلب من المرشدين الاجتماعيين صبراً ومثابرة مستمرة.

قد لا يتوفر لبعض المسنين الرعاية الاسرية اللازمة، لذلك تنبع الحاجة لتقديم هذه الخدمة الاجتماعية الانسانية من خلال المؤسسات الخاصة للمسنين سواء من الناحية النفسية الاجتماعية، والطبية.

ويزداد الاهتمام بهذه المرحلة ازدياداً ملحوظاً، ويتضح ذلك من خلال السياسة الجديدة التي انتهجتها مكاتب الشؤون الاجتماعية في الضفة الغربية حيث أفرزت أقسام خاصة فيها تهتم بهذه المرحلة ونأمل أن تحقق هذه الاقسام الاهداف التي أسست من أجلها لما فيه خدمة المسنين.

قراءة نقدية لرواية سحر خليفة

"باب الساحة"

د. عادل الاسطة

تبدو رواية سحر خليفة "باب الساحة" (١٩٩٠) الاولى، حتى تاريخ صدورها، من بين الروايات التي صدرت ابان فترة الانتفاضه و تناول فيها كتابها هذا الحدث الذي تفجر في ١٩٨٧/١٢/٩ مادة لعملهم الروائي. وفي حدود ما اطلعت عليه من روايات نشرت ابان هذه الفتره، فانها -أي الرواية- الاكثر تناولاً وتصويراً لفترة الانتفاضة. فعلى سبيل المثال، لا الحصر، تجري أحداث رواية أسعد الاسعد "ليل البنفسج" (١٩٨٩) في الفترة السابقة للانتفاضة، وهو ما يمكن قوله ايضا عن رواية ابراهيم العلم "عينان على الكرمل" (١٩٨٩) ورواية جمال بنوره "أيام لا تنسى" (١٩٨٨). و تختلف عن هذه الروايات روايات أخرى مثل رواية محمد أيوب "الكف تناطح المخرز" (١٩٩٠) ورواية أحمد حرب " الجانب الآخر لارض الميعاد" (١٩٩٠) ورواية عمر حمش "الخروج من القمقم" (١٩٩٢) ورواية عزت الغزاوي "الخواف" (١٩٩٣) في أنّ هذه تلامس الحدث وتقترب منه، وقد لا تتجاوزه زمنياً كما في رواية عمر حمش، الاّ أنها لا تصل الى مرتبة رواية سحر خليفة في تناولها لهذه الموضوع والتركيز عليه روائياً. بحيث يتصدر المشهد الروائي لتليه، في الاهميه، من ثمّ موضوعات جانبية أخرى.

تحظى سحر خليفة، اذن، بميزة التصدر في تناول هذا الموضوع، كما تحظى أيضاً بأسبقية النشر بعد الكتابة فيه، ولكن السبق و التصدر في الكتابة والنشر قد يكلفان صاحبهما، وبخاصةً في مجال الرواية التي تتناول حدثاً انياً لم ينته كالانتفاضه، الشيء الكثير، فيخسر روائياً بالقدر ذاته الذي ربح فيه تصدراً وأولوية.

ويستطيع المرء أن يحدد، بوضوح، الزمن الروائي: يبدأ الفعل في فترة الانتفاضة، في جريانها واستمرارها، ويتطابق معه الزمن الكتابي. فقد نشر النص عام ١٩٩٠ حيث كانت الانتفاضة أيضا في أوجها، ولا يقلل من هذا أن الكاتبة استخدمت صيغة الفعل الماضي لسرد الاحداث، الصيغة التي توحي وكأن الحدث انتهى وأصبح في ذمة التاريخ. ومع أنّ الرواية تطلعنا على ما كان قبل بدء الانتفاضة الاّ أن هذا يسرد كما تتخيله الذاكرة، وثمة فرق بين أن تسرد عن ماضٍ وأن تسرد عن حاضر.

تعيش سحر خليفه الحدث وتكتبه، ولكنها تنشر نصها خارج الضفة الغربية و خارج فلسطين كلها ولعل السبب في ذلك -عدا ميزة الانتشار التي يجلبها النشر في بيروت- يعود الى لهجة الخطاب الروائي ازاء أهل المكان الذي تدور فيه الرواية: مدينة نابلس. فمن يدري حقاً ماذا يمكن أن يحلّ بالكتابة لو نشرت نصها هذا في الضفة وتناولته أيدي القرار في نابلس، نصها هذا الذي يستبيح محرمات المدينة: فضح المستور وشتم الدين والتطاول على الكبار وان كان هذا يتم بدون ذكر أسماء دالة ومعروفة.

وكما الانتفاضة التي نزفت فيها الدماء نزيفاً لمّا ينته بعد، تبدأ الرواية التي تحاورتها تسعة عناوين هي: أم الشباب وسكان الدار المشبوهة وآخر العنقود واعتقال حديث واعتقال مضاعف واعتقال مركب وهو المشتاق للآفاق وهي المشدودة للقطبين فالبوابة، وجزأتها الكاتبة الى تسعة وثلاثين مقطعاً غطت مائتين واثنين وعشرين صفحة من الحجم المتوسط، تبدأ الرواية بالحديث عن المطاردين والشهداء وتنتهي أيضاً بما لا يختلف عن ذلك. ثمة نزيف كانت له بداية ولم تكن له -حتى الآن- نهاية.

وتجري أحداث الروايه، الاّ قليلاً، في مدينة نابلس، فتتصدر هذه بأزقة بلدتها القديمة وبناياتها المنتشرة على الاطراف الممتدة وبعض قراها القريبة الملتصقة بها. ويعرف القاريء، من خلال شخوص الرواية، الكثير عن أهل المدينة، عاداتهم وتقاليدهم

وتكوينهم الاجتماعي وثقافتهم السائدة ومشاركتهم في الانتفاضة.

يلتقي بشخوص متغايرين مختلفين منهم من يحافظ -ولو ظاهرياً- على الاعراف و التقاليد السائدة، ومنهم من يكفر بالمدينة وكل ما فيها ومعظم من فيها. والاخيرون الذين تعبر عنهم نزهة، على قلتهم، يظلون الاكثر حضوراً في الذاكرة. انهم الصوت المتمرد المحتج على ما يجري، الصوت المرتفع الذي يفضح الازدواجية التي يعاني منها بعض أهل المدينة، هؤلاء الذين يفعلون في السر ما يشتمونه ويهاجمونه في العلن، وأبرز نموذج لهم أبو عزّام والد حسام الشاب الطريد المطلوب للجيش الاسرائيلي.

ان لسان نزهة -وأرى أنه لسان الكاتبة نفسها- يقول: ليس القاع السوء كله، فالقمة تشارك هؤلاء وسخهم وتشترك معهم، وكأن نزهة لا تكتفي بترداد المثل الناص: موت الفقير وتعريص الغني يظلان غير معروفين. انها تقول المثل أيضاً -أو هكذا نتخيل- على النحو التالي: ويعرف الناس كلهم عن موت الغني وتعريص الفقير.

وليس صوت نزهة هذا بجديد فيما تكتبه سحر خليفة. ولئن كان على الدارس أن يميز باستمرار بين ما تقوله الشخصيات في الرواية وبين ما يقوله الكاتب، بحيث لا يجوز له أن يوحد دائماً بين الشخصيات المتعددة والكاتب، ولئن كان عليه ايضا أن يدرس ما تقوله كل شخصية على حدة لمعرفة موقفها من موضوعات عديدة، اعتمادا على تجربتها الشخصية وانتمائها الطبقي وتكوينها الثقافي، لئن كان عليه أن يفعل ذلك قبل أن يقول ان ما تقول نزهة هنا يتماثل الى حد بعيد و ما تقوله سحر، الاّ أنه -بناء على معرفته الشخصية بسحر خليفة وما ألمّ بها في حياتها الخاصه حيث تزوجت وانفصلت -يذهب، وهو مطمئن الى ما يذهب اليه، الى أنّ صوت سحر لا يختلف كثيراً عن صوت نزهة. ثمة تشابه في الرؤية بالنظر الى وضع الفتاة في المجتمع. ويمكن هنا أن نوحد بين شخصية نزهة في "باب الساحة" وشخصية خضرة في "عباد الشمس" وشخصية "سمر" في "باب الساحة".

وقد يكون المرء أكثر نجاحاً حين يوحّد بين شخصية سحر خليفة وشخصيات روايتها "مذكرات امرأة غير واقعية" وشخصية رفيق وسمر وسحاب، ولكنه لا يجانب الصواب حين يرى أن بعض ملامح نزهة وخضرة توجد في الشخصيات الاخرى: رفيف وسمر وسحاب وسحر خليفة. ولعل أبرز هذه الملامح تكمن في الشعور أنهن جميعا ضحية مجتمع الذكور، والشعور أيضا بضرورة الثورة على هذا الواقع وتغييره. وبعض عناوين رواية سحر خليفة تكشف الفكرة التي تلح عليها وهي تكتب: "لم نعد جوار لكم" (١٩٧٤) و"مذكرات امرأة غير واقعية" (١٩٨٦).

ويتشابه الرجال أيضا. يتشابهون في نظرتهم الى المرأة، وعلى الرغم من حضور الثورة الفلسطينية البارز ابّان هذه السنوات الاّ أنها لم تغير في الامر كثيراً.

تخاطب سحاب في رواية "باب الساحة" حسام المسيس قائلة: "اصح يا شاطر بعدك صغير، تحكي عن الحب؟ تذكرني بقيادي كبير، كان بلبنان قبل الضربة، أحببته أكثر من عمري، بس يا خسارة! المرأة عنده زوج جرابات. كل زوج من لون، كل لون في درج، وكل درج برقم ..." (١٩٧٤).

ولا يختلف القيادي الكبير عن غيره. انه يشبه أبا عزّام والد حسام هذا الذي يعامل زوجته باحتقار، نوعا ما، واضطهاد واضح. هذا ما تقوله أم عزّام نفسها، وهذا ما يقوله السارد أيضا، وكما سنرى، فانّ السارد هنا ليس سوى ظل لسحر خليفة نفسها في نظرتها للمرأة. لنقرأ النص التالى الذي يوضح ذلك:

"وكان ابو عزّام نحيلاً، رغم أنّ "فيلته" تشير الى أنه ممدود الكف. فرخام الارض وديكور السقف وورق الجدران، تحف مستوردة من روما. لكنه حين يشتري أغراض البيت ينقّي أسوأ ما في السوق. فالخيار مكعبل مثل البطاطا، و الباذنجان يكاد يكون مطبوخا، والكوسا ميتّر مثل القرع، والفجل مخرّم كالاسفنج. أمّا المسكينة أم عزّام فتكاد لا تمون على شيء حتى ولا على ضمة بقدونس. فمن المعروف أنه قد حلف عليها بالطلاق ثلاثا ألاّ تصل الدوّار وألاّ تمشي في السوق التجارية والبلد القديمة. ...." (ص٤٩).

ولم تغيّر الانتفاضة، على الرغم من مشاركة المرأة فيها، من الامر شيئا. وتظل هذه النبرة، في أعمال سحر، تعلو وتعلو حتى ليصل المرء الى القناعة التالية: تظل مشكلة سحر خليفة الخاصة ذات حضور بارز لم تقلل الاحداث من طغيانه وسطوته على مرّ السنين. فباستثناء الفتيات البرجوازيات اللاتي تمر على ذكرهن مرّا سريعا (ص١٣٤) تبدو معظم النسوة في الرواية محبطات مقموعات لا قيمة لهن ولا كرامة، وقد تكون الوحيدة التي تشعر ببعض استقلال هي القابلة زكية عمة حسام، ولعل السبب في ذلك اشتغالها -وهذا يضايق أخاها أبا عزّام -قابلة. وأبو عزّام في الرواية ليس بخيلاً وحسب، وليس قامعاً لزوجته وحسب، انه فوق ذلك داعر وزانٍ يحلل لنفسه ما يحرمه على غيره.

حقا ان واقع المرأة ليس كما تشتهي سحر خليفة أو ترغب، وأن المرأة محاصرة مقموعة حتى فترة معينة، ولكن ما يغيب عن سحر خليفة نفسها أن المرأة في مجتمعنا سرعان ما تتحول من مقموعة الى قامعة ينخ أمامها الرجل نفسه.

هل الرواية، في مجملها، اذن، تدور حول هذه الفكرة؟ وأين صوت الواقع الانتفاضي

الذي شغل الدنيا، فيها؟

لعل، من باب الانصاف، أن نقول: ان الرواية تعطي تصوراً مقبولاً عمّا جرى في سنوات الانتفاضة الاولى، تصوراً تكرر على مدار سنوات بشكل يومي. وتبدأ الرواية بمشهد يرينا هذا الصراع، وان كان هذا المشهد يحمل في ثناياه أيضا ثنائية الرجل-المرأة، المضطهِد-المضطهَد، وذلك حين يحتج حسام على أن يكون العزاء في وفاة المرأة سبعة أيام خلافا للعزاء في الشهيد الذي يقتصر على ثلاثة أيام.

يظهر لنا الفصل الاول قدوم حسام المطارد الى بيته عائداً خفية ومتسللا بعيداً عن العيون والانظار لما في ذلك من مخاطر. وحسام يشكل ظاهرة جديدة أبرزتها الانتفاضة ولم يكن لها حضور من قبل. وتنتهي الرواية، كما أسلفنا، بحوادث القتل والاستشهاد ومقاومة الاحتلال. وتطالعنا بين هذين الفصلين العديد من الحكايات عما يجري من أحداث ولكن، وعلى الرغم من ذلك، تظل ثنائية الرجل-المرأة حاضرة حتى النهايات. ويخرج المرء بنتيجة ملخصها: ان الفاصل الزمني بين أول ما كتبته سحر خليفة (١٩٧٤) واخر ما كتبته (١٩٩٠) لم يترك أثره على نظرتها بهذا الشأن، تماما كما أن الانتفاضة بعظمتها وتنوعها وتميزها لم تترك كبير أثر، وكل ما في الامر أن المرأة أخذت تعاني من المزيد من الاضطهاد.

تسأل سمر الفتاة الجامعية الحاجة زكية ان كانت الانتفاضة غيرت في واقع المرأة، فترد عليها هذه:

"- بصراحة ما تغيّر عليها الاّ الهم. همها زاد وقلبها انحرق، قولي الله يكون لها النسوان معين." (ص٢٠).

وتضيف:

" همومها القديمة بقيت على حالها وهمومها الجديدة ما بتنعد. حبل وميلاد ونفاس ورضاعة وغسيل ..... وهم الشباب المشردين بين الصخر والوعر وهم الشمس...." (ص٢٠).

ويمكن، على أية حال، أن نقدم هنا عرضا موجزاً للرواية، عرضا يطلع قارىء هذه الدراسة على سير الاحداث فيها:

تبدأ الرواية بعودة حسام الى منزل عمته عصراً حيث يجد النسوة مجتمعات يعزين بوفاة جدته. ونتعرف رويداً على عمته زكية (أم الشباب) التي يكونْ لها حضورها البارز في الرواية، عمته التي تساعد الشباب وتداوي الجرحى منهم وتقف الى جانبهم، وتقوم، في الوقت نفسه، بمهمات أخرى.

وينتقل السارد ليتحدث لنا في الجزء الثاني عن سكان الدار المشبوهة، الدار التي تقيم فيها نزهة ابنة سكينة التي كانت قبل أن تقتل في الانتفاضة، بحجة التعاون مع الاحتلال، تمارس الدعارة مع اليهود والعرب. وتسير نزهة أخلاقيا على نهج أمها، ويزور بيتها، من قبل، وجيه والد حسام وأخو زكية. وعلى الرغم من أن نزهة كانت تمارس الدعارات، وكذلك أمها، الاّ أننا نعرف أن لها أخا مطارداً مع المطاردين.

ثم يحدثنا السارد في الجزء الثالث عن حسام، آخر العنقود، ووالده وجيه المكنّى بأبي عزّام. فنعرف أن أبا عزّام رجل ثري ولكنه بخيل ومتسلط على أسرته، ولكنه في المقابل كريم مع نزهة وأمها.

ويقول لنا السارد في الاجزاء الثلاثة التالية التي حملت العناوين: اعتقال حديث فمضاعف فمركب، عمّا جرى مع حسام المطارد. لقد جرح حسام واحتمى ببيت سكينة وأقام مع نزهة التي كان يحتقرها وأمها، وعانى أولا من الاقامة في المنزل المشبوه مع الفتاة المشبوهة، وتطور الامر حين جاءت سمر الفتاة الجامعية المثقفة لتقابل نزهة وتسألها عن التغيرات التي ألمت بالمرأة ابّان الانتفاضة، فأصبح بذلك وحيدا غير قادر حتى على محادثة نزهة، وتصاعد هذا كله حين انضم الى نزهة وسمر الحجة زكية أولا وأمه ثانيا. وكان حسام يخشى الاحتلال أولا، ثم أخذ يخشى ألسنة هؤلاء لو عرفوا أنه موجود هنا.

ويخبرنا السارد بالجزء المعنون "هو المشتاق للآفاق" والجزء الذي يليه "وهي المشدودة للقطبين" شيئا عن حياة حسام العاطفية. لقد تعرف حسام أولا الى سحاب الفتاة المثقفة التي تكبره سنا، وأحبها حباً لم يتعد الكلام. ويتعلق حسام، وهو في بيت نزهة، بسمر الفتاة الجامعية، ويتأجج الحب بينهما دون أن يتواصل بسبب الاحتلال. وهنا نتعرف على أحمد الاخ الاصغر لنزهة، أحمد المطارد المختفي منذ عامين، الملاحق حتى الاستشهاد.

وتنتهي الرواية بالفصل المعنون "فالبوابة" التي أقامها جنود الاحتلال ليحولوا المدينة القديمة الى سجن. ويعمل الشباب والشابات، جاهدين، على ازالتها، لا يثنيهم في ذلك قمع أو قتل.

وعلى العموم فان الرواية، شكلا وموضوعا، مسيرة سحر خليفة الروائية. صحيح أنها صورت واقع الناس ابّان الانتفاضة، فأرّخت بذلك لمرحلة جديدة لا يلحظها المرء في رواياتها السابقة، الاّ أن المرء يخرج، بعد قراءتها، بانطباع لا يختلف عن الانطباع الذي يخرج به وهو يقرأ رواياتها الاخرى. ولا تختلف الرواية، موضوعا، كثيرا عن روايتها "الصبار" التي أرّخت لفترة مشابهة نوعا ما، فترة كانت فيها مقاومة الاحتلال السمة الابرز في الضفة.

وسأتناول هنا، بالتفصيل، ظاهرتين هما اللغة والاسلوب، لملاحظة كيف أن الرواية كتبت على عجل، ونشرت كذلك، مما أوقعها في العديد من المآخذ الشكلية التي يفترض، بالنسبة للكاتب ليست هذه الرواية انجازه الاول، أن تتجنب.

١- اللغة.
٢- طريقة العرض (أسلوب القص).

١- اللغة:

اعتماداً على اللغة وحدها تخفق سحر خليفة في أن تستحق لقب أديب، تماما كما يخفق معظم أدبائنا، هنا في الضفة والقطاع، في أن يحتلوا مرتبة الصدارة بين أولئك الذين يعكفون على خلق حس لغوي مرهف يرتقي باللغة الى مراتب عليا. ومن يقرأ نصاً مما كتبته في رواياتها العديدة، يكون فيه الكلام للسارد المثقف الذي يفترض أن يكون، في هذه الحالة، الكاتب نفسه، ويقارنه بنص من سيرة فدوى طوقان "رحلة صعبة.. رحلة جبلية"، يلحظ الفارق اللغوي الكبير بين أديب وآخر، أديب يمتلك ناحية اللغة، فيطوعها كما يشاء، وآخر تغلب على أسلوبه الركاكة، فيقترب في لغته من لغة شخص عادي، نال حظاً من التعليم يتاله معظم الناس في زمننا هذا.

ويميز المرء الذي يتتبع المستوى اللغوي في "باب الساحة" بين مستويات عديدة، فالرواية -عدا السارد- تحفل بالعديد من الشخصيات: اليهودية والعربية، والاخيرة هذه عديدة المستوى ثقافة فمنها المتعلم ومنها غير المتعلم. وهكذا يحصل المرء على أربعة مستويات للغة، فهل كانت المستويات هذه، منذ بداية الرواية حتى نهايتها، تسير بطريقة محكمة؟ أعني اذا فحصنا المستوى اللغوي للسارد وللشخصيات كل على حدة، مثل شخصية نزهة وسمر وزكية، فهل نحصل على مستوى لغوي واحد لاي من هؤلاء؟

اذا كان الجواب نعم، فمعنى ذلك أن الكاتبة نجحت في هذا واستطاعت أن تتمثل شخصيات روايتها تمثلا كليا في هذا الجانب. واذا كان الجواب لا، فمعنى ذلك أنها أخفقت في تمثل الشخصية القصصية كليا.

يفترض هذا، منّا، أن نقوم بفحص لغة كل من السارد والشخصيات العديدة وملاحظة ذلك. ولكننا، قبل ذلك، نشير الى أننا لسنا مع سحر خليفة او ضدها في اللجوء الى المزاوجة اللغوية وانطاق الشخوص، روائيا، بما تنطق به حياتنا. فهذا شأنها وحدها، ولعلها أرادت أن تنقل الينا الاجواء المصورة، كما هي، بصدق، فنقلت لغة الحديث الى الورق حتى لا تجعلنا، نحن الذين نعرف اللهجة نشعر بأن شخصيات الرواية مصابة بفصام. اننا لسنا هنا أمام تحديد موقف من جواز استخدام اللهجة العامية أو عدمه، فهذا أمر آخر يمكن مناقشته بشكل عام وخارج اطار دراسة هذه الرواية.

نبدأ أولا بتتبع المستوى اللغوي للشخصيات، ثم نعود بعد ذلك لتتبع المستوى اللغوي للسارد.

أولا: الشخصيات اليهودية:

ليس للشخصيات اليهودية في النص، عدا الجنود، حضور لافت. فنحن نستمع الى صوت جندي يخاطب الآخرين، وقد نستمع الى صوت مستوطن. والعبارات التي يتفوه بها هؤلاء، في النص، قليلة. وتبدو لغتهم عربية ركيكة، غالبا ما يتم فيها استبدال مفردات بأخرى. من ذلك مثلا النص التالي:

"افتح شنطة"

وتفتح الشنطة، ويرون أدواتها البسيطة: قطن، شاش، سرنجات، مطهرات وتحاميل.

- دكتورة؟
- لا، قابلة.
- كابلة؟ ما كابلة؟
- داية.
- داية؟ ما داية؟ ، (ص١٢).

ثانيا: الشخصيات العربية غير المتعلمة جيداً أمثال الحاجة زكية ونزهة وأم وجيه وآخرين كثيرين. وينقل حديث هؤلاء، روائيا، كما ينطقون في الواقع. ويعطي النص التالي صورة عن لغة هؤلاء:

- شو كل هذا؟
- مدّت يدها بذعر:
- دخيلك، وطّي صوتك، الناس:
- استحوا أهل الشهدا!

وضعت يدها على ذقنها مسترحمة:

- دخيلك خلينا مستورين.

ونظرت من الشباك بقلق:

- حدا شافك؟

ابتسم وهزّ رأسه:

- خايفة علي الدار ولاّ عليّ؟" (ص١٠).

ونستمع، أحيانا، الى هذه الشخصيات تتحدث بلغة عربية شبه فصيحة، لغة لا تتناسب ومستوى تحصيلهم العلمي. هنا تبدو لغة هؤلاء لغة الكاتب نفسه، ولا شك أن هذه الازدواجية تشكل خلخلة في البنية الروائية. نقرأ مثلاً في ص ٧٦ النص التالي على لسان حسام:

"انتبه لنفسه: ماذا فعلت بنا الانتفاضة؟ أهي الانتفاضة أم التوتر والتشرد والتخبط؟ هي الحرب. والأدهى من ذلك أن الناس لا يعتبرونها حرباً. وما نحن فيه ماذا يسمى؟ لأننا لا نوجع الطرف الآخر بدأنا نوجع أنفسنا.. ارفع يدي على امرأة؟ وماذا لو تطاولت على الوالد؟ ألا يستحق؟ بلى يستحق.."

وقد يرى بعض الدارسين أن هذا ليس بمستغرب، فحسام طالب جامعي. وبالتالي فمن الممكن أن تكون هذه لغته هو لا لغة الكاتب! غير أن ما يجعلنا لا نذهب هذا المذهب هو أن حسام ينطق ، غالباً، باللهجة العامية.

وقد يكون اقتباس نص يرد فيه حديث على لسان زكية، مثلاً، دليلاً أوضح. تنطق زكية، على مدى الرواية، باللهجة العامية، ولكننا أحياناً نقرأ عبارات فصيحة ترد على

لسانها، من ذلك مثلاً ما يرد في ص ٤٠:

"التفت إليها ورآها تتأمله. ابتسم ابتسامته الناعمة فسال قلبها وتساءلت: أمن المعقول أن يكون واحداً منهم؟ هذا الوجه الناعم كوجوه البنات، والعيون الناعسة والصوت الهادىء، أمن المعقول أن يكون كما يقال؟ لكنه مؤمن ويخاف الله..."

ثالثاً: الشخصية المتعلمة تعلماً جامعياً:

وتتمثل في النص في كل من سمر وسحاب وحسام، وهذه درست أو ما زالت تدرس في الجامعة، وهي عدا ذلك تثقف نفسها باستمرار، ويتضح هذا من خلال ذهابها إلى المكتبة العامة، وما لاحظناه أعلاه في ازدواجية نطق حسام نلاحظه أيضاً في طريقة إنطاق سمر، أما سحاب فلا تظهر، في الرواية، كثيراً.

رابعاً: لغة السارد:

كما أشرت من قبل، فليس هناك في النص ما يوضح لنا فيما إذا كان السارد شخصاً آخر غير الكاتب. حقاً إن النص الروائي لا يعطينا أدلة دامغة تثبت لنا أن السارد هو الكاتب نفسه، ولكنه في الوقت نفسه، لا يعطينا أدلة تثبت عكس ذلك. ولذلك فسنفترض هنا أن السارد والكاتب هما شخص واحد، وبالتالي ينبغي أن نقرأ لغة سردية متميزة تليق بمكانة الأديب.

يبدو السارد في النص شخصاً لا يمتلك ناحية اللغة. إنه راوٍ أكثر منه كاتباً. ولا شك أن هناك فرقاً بين الاثنين، فالأول يهتم برواية الحديث ونقله، دون أن يركز كثيراً على فصاحة اللغة التي لا يمتلكها الجمهور المستمع، وبالتالي فان الراوي، حتى يخلق ثمة تواصلاً بينه وبين مستمعيه، يخاطبهم على قدر لغتهم. والثاني -أي الكاتب- يفرغ ما عنده على الورق، وهذا يتطلب قارئاً نال حظاً من التعليم. هنا يختلف المخاطب.

والسارد في النص يبدو راوياً أكثر منه كاتباً. ويمكن للمرء أن يقتبس عشرات الفقرات، ذات المستوى السردي، ليلاحظ ما فيها من ركاكة لا تليق بأديب أصدر حتى الآن خمس روايات.

سوف أقتبس النص التالي لنلاحظ معاً ضعف المستوى اللغوي السردي:

"اختفى الجندي فسدوا مداخل الزاروب وبدأوا حملات التفتيش. الشباب يعرفون المسالك والمسارب والدهاليز والأقبية وفتحات المجاري. وبدأت عملية الصيد الشرسة. افتعل الشباب معركة في الزقاق المجاور فامتلأ سطح الست زكية بالبنانير والحجارة والفشك الفارغ. ثم الغازات والبصل والليمون وخراطيش القنابل. أغلق الناس النوافذ وسدّوا أنوفهم بمحارم الكولونيا حتى داخوا. والشباب اتفقوا على الانسحاب آخذين معهم كل الشبيبة، ولم يبق في الحي الا النسوة والأطفال وشيوخ الرجال" (ص٦٧).

والأمثلة على ركاكة لغة السارد، في النص، كثيرة. وهي لمن يجيد العربية واضحة غاية الوضوح. يبدأ السارد نصه بجملة فعلية ثم سرعان ما نقرأ جملة أخرى اسمية، وأحياناً تنقطع الجملة لنجد أخرى تبدأ بحرف عطف: "فامتلأ سطح الست زكية بالبنانير والحجارة والفشك الفارغ. ثم الغازات والبصل والليمون.." ولا شك أن هذا يؤثر على الايقاع السردي، كما أنه لا يحافظ على استمرارية حالة التوتر، التي تخلقها الجملة الفعلية لدى القارىء.

وينسى السارد أحياناً، نفسه فينفعل بالحدث وتصبح لغته قريبة من لغة الشعر، تصبح لغته متدفقة تتناسب وشخصية متوترة متأزمة. ونلحظ هذا غير مرة، من ذلك مثلاً ما يرد في ص١٣٥:

أيام ذهبية كالميلاد. يولد المرء في الثورة مئة مرة ويموت ألوفاً لا تحصى، والثورة ليست كالصاروخ، بل نهر سيال يتدفق. أحياناً ينخسف الأمداد ويشح المطر ولا يهطل، ويمر النهر بوقت عصيب... يافيفي الرب يا غضب الأرض، يا غضباً موقوتاً كالاعصار، ثم الدوران، ثم الدورة، ويعود كخيط يتأرجح، وتعود الثورة للواقع، وتعود الصخرة تتدحرج لمهاوي الواد، ويعود سيزيف إلى حملة".

وكما سنرى بعد قليل فان السارد لا يبدو شخصية روائية الا قليلاً، وتحوله في هذه الرواية، إلى شخصية مشاركة، عامل ضعف في بنية الرواية لا عامل قوة.

٢- طريقة القص

تبدأ رواية "باب الساحة" بالفقرة التالية:

"لكأنّ حشد النسوة هذا اكتظاظ استقبال من استقبالات المرحومة الخوالي. كانت المرحومة ما زالت في ريعان الشباب، رغم رعيل الخلفة الممتد طولاً وعرضاً. كانت بيضاء قبالة الى البدانة، لكنّ الخصر مكسّم والساقان ممشوقتان" (ص٩)

ويغلب الأسلوب المستخدم في الفقرة أعلاه، أسلوب السرد التقليدي الذي يعتمد الحديث عن آخر (الشخص الثالث) على الرواية، ولا نلحظ، باستثناء الحوار الذي يشكل الجزء الأكبر في الرواية، أسلوباً آخر. إننا نصغي إلى سارد يتحدث عن آخرين ويتوقف قليلاً ليترك لنا الآخرين يتحاورون فنصغي إلى أصواتهم يعبرون عن ذواتهم إزاء ما يجري وما به يؤمنون.

ولا يلتزم السارد في النص الحياد دائماً، فهو بين فترة وأخرى يعقب على ما يجري متدخلاً بطريقة تبدو فظة غير مستساغة تذكر بالروايات التي كتبت في بداية هذا القرن حين كان هذا الفن وافداً وناشئاً. هنا يتحول السارد إلى شخصية من شخصيات الرواية، ولكنها تبقى ضبابية

غائمة غير واضحة المعالم. نقرأ، على سبيل المثال، النصين التاليين:

"تساعدها؟ هي ليست الصغيرة سمر لتحمل الأفكار ونوايا السنج، فهذه أيام نحس، ويا دوب الواحد يساعد حاله"

"كل شيء الا هذا. تطلع لهذا البيت جلاب الفضائح والمصائب! لا والله ولو وضعوا العالم في يمينها والشمس في شمالها" (ص٣٠).

ولا يلتزم الفصلان الأول (أم الشباب) والثاني (سكان الدار المشبوهة) بأسلوب السرد المذكور. فالمرء يلحظ أحياناً، انحراف الكاتبة عنه، واللجوء إلى أسلوب آخر يتمثل في استخدام الاسلوب السردي عبر ضمير المتكلم، وهذا ما جعلنا نذهب قبل قليل إلى أن السارد يصبح شخصية من شخصيات الرواية.

نشير، في البدء، إلى مواطن هذا التحول في الاسلوب، لنتساءل، فيما بعد، إن كان مبرراً أو مستساغاً.

نقرأ في ص١٦ النص التالي:

"أما الليل فيا سبحان الله! سبحان الخالق في عرشه. ضباب المدينة كالتخريم يهبط من قمة عيبال. وأحياناً يمنّ الله علينا بليلة حنونة دون قلق، فلا تنطلق السماعات والنداءات وهتافات الله أكبر، ولا يقتحم الجند حارة قريبة أو بعيدة. فالقرب والبعد في مدينتنا مختلطان. نرى الاشياء من بعد فنظنها قريبة، فاذا حاولنا الوصول إليها وجدناها أبعد من مكة . سبحان الله!"

وليس هناك في النص أي دليل على أن هذه الفقرة ترد على لسان شخصية من شخصيات الرواية. وما يجعلنا نذهب هذا المذهب هو أنّ الفقرتين: السابقة واللاحقة هما فقرتان نصغي فيهما إلى صوت السارد. "افترشت طراحتها...." (ص١٥) و"سافرت إلى بلاد العالم كله، الشام وبيروت والكويت ومكة، ولكنها ما زالت مثل هذه المدينة." (ص١٦).

وتتكرر الصيغة عبر ضمير المتكلم في (ص١٨):

"وتبادلنا نظرات المحبة فتمتمت الست زكية باعجاب" (وقد يكون هناك خطأ مطبعي في (تبادلنا) التي يمكن أن تكون (تبادلتا)، وبالتالي ينتفي أن يكون السارد جزءاً من شخوص الرواية. وقد تذهب الكاتبة المذهب نفسه في أثناء الحديث عن النص المقتبس من ص ١٦، وقد تزعم أن النص هو نوع من التداعي الذي يرد في ذهن الشخصية المسرود المتحدث عنها، غير أن ما يجعلنا نرفض ذلك هو أن المستوى اللغوي لا يتناسق والمستوى اللغوي لشخصية زكية التي تتحدث في الرواية باللهجة العامية.

يتكرر الشيء ذاته في (ص٣٨). تبدأ الفقرة الثالثة من هذه الصفحة بعبارة: "ورأينا الدار تعود إلى التهالك". وصيغة الخطاب الروائي هنا تشير إلى تغير في بنية السرد، بحيث يتحول السارد من مراقب إلى مشارك. وهذا التحول يلحظ بوضوح في مواطن أخرى من الرواية بحيث ينفعل السارد بما يجري فيعبر، من ثم، عن عواطفه وانفعالاته وكأنه إحدى شخصيات الرواية. وهو ما يلاحظ، بوضوح، في النصوص المقتبسة سابقاً.

ولا يستطيع المرء هنا، حقاً، تحديد حالة واحدة للسارد، أعني فيما إذا كان محايداً حياداً كلياً، أو إذا كان مشاركاً.

يعتبر الدارس، وهو يتنقل في القراءة من مكان إلى آخر، على هذه الحالات. فالسارد يزج نفسه أحياناً فيما يجري، ويكتفي أحياناً بسرد ما يجري، ويبدو ثالثة وكأنه يدري ولا يدري. تتأمل العمة زكية في النص نزهة فتطلب العفو من أرحم الراحمين، ولا يكتفي السارد هنا بوصف مشاعرها وما يعتمل في داخلها. يتدخل ليثير العديد من التساؤلات التي كان يفترض أن تثيرها زكية لا السارد، ولكن الأخير يريح الأولى ويقوم بهذه المهمة:

"تأملتها العمة وتوقفت عن سحب الانفاس. حلمك وعفوك يا أرحم الراحمين. سبحان الله. كيف لم يخطر ببالها أن هذه البنت وحيدة وأنها في وحدتها تبكي وتخاف وتتألم! أليست من لحم ودم؟ ألأنها بنت سكينة؟ ألأنها ابنة الدار المشؤومة؟" (ص١٣٨).

تختلف الصيغة في الفقرة المقتبسة عنها في الفقرة التالية التي يبدو فيها السارد محايداً وان كان عارفاً بما يجري:-

"شربتا القهوة في المطبخ، وكانت عربية. شمّ رائحتها على البعد فأصيب باكتئاب مضاعف. قبل أن تخاصمه نزهة كان يجرؤ على طلب فنجان قهوة. أما الآن، ومن أيام طويلة، لم يذق طعم الشاي أو القهوة". (ص١٠٢).

ثمة مواطن يبدو فيها السارد عارفاً بالضبط وغير عارف. يبدو فيها متردداً. لنقرأ الفقرة التالية ونلحظ حالة السارد فيها:

"ووجيه يفاخر بالصبيان، وما كان يحبّ أبناءه. أو ربما، هذا ما يتوهمه حسام. كان يجمعهم كما يجمع البخيل قطع الذهب" (ص٥١). وشبيه بالفقرة السابقة الفقرة هذه:

"وتلعن الليل وما يجيء به من جن وعفاريت، لكنها لم تفعل لأنها لم تعتد ذلك. أو بالاحرى، عملت الا تعتاد هذا الترف، ورضيت بقسمتها كمستمعة فقط". (ص٣٦).

ويلحظ قارىء الرواية مواطن يختلط عليه الأمر فيها، بحيث تتداخل عدة مستويات سردية، أعني لا يستطيع أن يحدد بالضبط مصدر الكلام، وهو ما يلحظ بوضوح في ص١٢٠:

"ممهمت نزهة وهي ما زالت تحرك الشوربة. الخير والبركة! أي خير وأية بركة؟ بعد أمها هل بقي خير؟ وبعد أحمد هل بقيت بركة؟ ثم هذه الست اللي ولا ألطف منها،

ماذا عملت لتثبت هذا اللطف؟ حتى الصباح استكثرته عليها، والآن ها هي تحتل منزلها كما احتله ابن أخيها! وفوق هذا وكله، الكبرة المحمضة وشوفة الحال. والله عال! ياكلو أكلك ويخروا بدقنك يا نزهة. والا المواعظ، أعوذ بالله! قال فوقنا خرى وتحتنا خرى ونقول ريحة خرا. ومش ناقص علينا الا التسبيح!..".

ولا شك أن المرء يمكن أن يميز بين صوتين وله في ذلك أكثر من دليل: الأول الازدواجية اللغوية بحيث يستمع تارة إلى صوت يقترب في لغته من الفصيحة، وطوراً يتحدث باللهجة العامية، والثاني استخدام ضميرين في الخطاب، فنحن نصغي إلى صوت يتحدث عن نزهة ثم نستمع إلى عبارات وكأنها تصدر عن نزهة نفسها.

حسن عبد الله

في

"عروسان في الثلج"

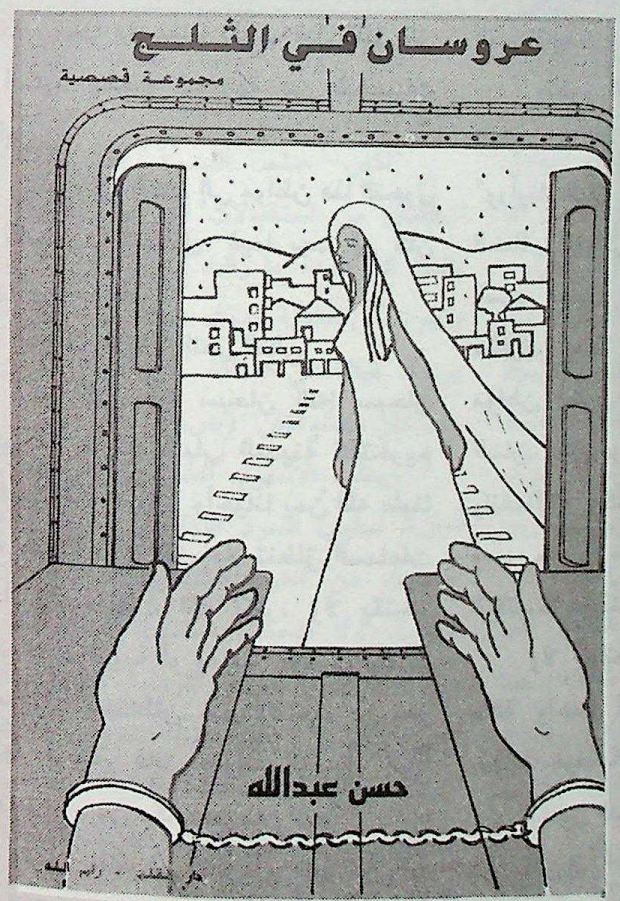

صدر للكاتب حسن عبد الله المجموعة القصصية الرابعة بعنوان (عروسان في الثلج) التي كتبها خلف قضبان المعتقلات الاسرائيلية، حيث كان الكاتب قد صدر بحقه قرار بابعاده وتم الغائه لاحقاً.

ويقول الكاتب في كلمة الاهداء: (وفي الشهور الفاصلة بين صدور القرار والغائه، ولدت خلف قضبان معتقل الخليل أربع قصص، فيما توجت مخاضات صحراء النقب، حيث حولت للاعتقال الاداري، ولادة القصة الخامسة).

بقي أن نشير إلى أن المجموعة صدرت عن دار القلم برام الله وتقع في ١٥٥ صفحة من القطع المتوسط، حيث صمم الغلاف رؤوف المالكي.

أخيراً كان قد صدر للمؤلف ثلاث مجموعات قصصية:-

- حمامة عسقلان.
- عاشق الزيتون.
- صحفي في الصحراء.

شاعرية عبد القادر العزة

انتزعت البسمة

من بين انياب البؤس

حسن عبد الله

الشاعر عبد القادر العزة تأنى كثيراً قبل أن يدفع بأشعاره إلى المطبعة، محصها ودقق فيها أطول بكثير من تدقيق زهير بن أبي سلمى في حولياته، لأن بعض قصائد الجزء الثاني من الديوان، بقيت بعيداً عن عيون المطبعة ما يقارب الثلاثين عاماً.

وما يهمنا في جزئي الديوان:- شموس الصباح والود القديم، قصيدتين نظمها الشاعر في الاعتقال خلال مرحلتين مختلفتين:- الاعتقال الاول: (في نهاية الخمسينات وبداية الستينات) في معتقل الجفر الصحراوي، والاعتقال الثاني في معتقلات الاحتلال بعد عام ١٩٦٧م.

والقصيدة التي نظمت في معتقل الجفر، تؤكد وجود جذور الادب الاعتقالي قبل عام ٦٧م.

الديوان شهادة حق للشعر الفلسطيني عامة:

تغريك قصائد الديوان بالقراءة، والتأمل ثم الاستمتاع، وأنت تبحر راكباً موجات الكلمات الشاعرية والصور الجميلة. تستوقفك قوة التعبير، وتبهرك القصيدة المنسوجة باتقان، خيوطها متناسقة، مترابطة...

يقول الكاتب الفلسطيني أسعد الاسعد في مقدمته للديوان:

"حين قرأت بعض القصائد وجدتني أندفع إلى البحث عن قصائد أخرى كتبها الشاعر عبد القادر العزة، تماماً مثل بحار، يعود ببعض صيد ثمين، فيطمع بالمزيد، يعود ثانية وثالثة... و...و... وفي كل مرة يكتشف جديداً، ولست هنا، سوى شاهد، على أن أبا خلود، بحار، غاب طويلاً، وعاد الينا بالنفيس من لآلىء البحر ومحاراته، ليس أكثر".

اخترت من بين قصائد الديوان قصيدتين الاولى ترتبط بمرحلة الاعتقال في الجفر، والثانية تجربة اعتقالية أخرى عام ٨٥م في سجون الاحتلال.

والقصيدة مرتبطة (بالجفر) نظمها بتاريخ ١٩٦٠/١٠/٥م، بعد خروجه من المعتقل، حين فرضوا عليه الاقامة الجبرية في بيته، وهي عبارة عن نبش في ثنايا التجربة الاعتقالية في الجفر، وتمثل حالة استدعاء متوقدة للعديد من عناصر التجربة بظروفها ورموزها.

ولا نبالغ اذا قلنا:- ان القصيدة (ملحمية) بنفسها الشعري الطويل، وبموضوعها، والبراعة الفنية في تناوله.

القصيدة عمودية، موزونة، مقفاه، وتحرك أبياتها موسيقى رائعة... افتتحها الشاعر بالابيات التالية (ص٩ من الديوان):-

صرفت الدهر مرت كالصعاب
بالام وآمال عذاب
كتبت الشعر فوق رمال جفر
تضيع بها النواظر في سراب
وكم اسعدت اخواني وأهلي
كأني كنت سطراً في كتاب

ثم تسلل الشاعر ليتطرق الى تفصيلات الحياة اليومية في حياة الانسان المعتقل في (الجفر)، فمر على كل رفيق من رفاقه، يستذكر بايجاز دوره، أو ما كان يتميز به عن غيره:-

نبشر شعبنا نصراً أكيدا
ونجزم فيه رغم الاكتئاب
نبصّرُ قومنا معنى حياة
تطيب لصانع الكون العجاب...!!
وتصنع من غبار التيه صرحا
عليه نما جبابرة العقاب

ويمضي الشاعر يغرف من عمق شاعريته، أبياتاً ناضجة وفي منتهى الجمال، من الناحية الفنية، معتمداً على خبرة أغنتها التجربة وصقلها علقم أيام المعاناة، راسماً بريشته الابداعية، مفاهيمه، المنبلجة من روح ايمانه الراسخ بالغد... يخاطب رفاقه.. يقول لهم:-

ولست بواقف فيكم خطيبا
ولكن، واعظاً عظة القراب
ابر قرابتي بِرّا صدوقا
وأدنو من بعيد، في التراب
وليس البُعد بُعداً من يجافي
وليس القرب منك أخو الشراب
وخذ بالنصح ممن جرّبوه
تبصر في السؤال وفي الجواب
فمن ضل الطريق وراح يعشو
يضيع على التلال وفي الشعاب

وينهي الشاعر قصيدته قوياً، مثلما بدأ، محذراً بشدة من التشاؤم، ورؤية الامور بمنظار أسود، ومن الانطواء على الذات، طارحاً مجموعة من المفاهيم، التي في مقدمتها، ان الوطنيين قد تختلف بهم الوسائل والسبل، والاختلاف هذا ليس نقيصته، أو زلزالا مخيفا يصيب الحركة الوطنية، يصدعها، وانما ينم عن التفكير وتعدد الاجتهادات، كي لا يكون الواحد نسخة كربونية عن التشكيل الذي يتكون منه الكل، ولكنه حذر من تبديد الجهود وتشتيتها وضياعها في دروب المهاترات والفردية المقيتة.

اذا اختلفت وسائلنا دليل
على حسن التبصّر والرّغاب
ولكن اختلاف الجهد ضعفٌ
وتمزيقٌ، أصرحُ بالتهاب
بأن الحق صاحبه قوي
اذا ما هز رمحاً للضراب
وسيف النصر تحمله بناه
من الجنسين، واقنع بالجواب

القصيدة الثانية: "حكموا الرفاق"

نظم الشاعر هذه القصيدة، عندما كان معتقلاً في معتقل رام الله، وبتاريخ ٨٦/١/٢٣م، حكمت المحكمة العسكرية الاسرائيلية على مجموعةٌ من الشبان بالسجن المؤبد، فنظم الشاعر هذه القصيدة.

ولادة القصيدة:

يتضح لنا من العنوان (حكموا على الرفاق) ومن السطرين اللذين قدم بهما الشاعر لقصيدته (حول المناسبة التي أوحت بها)، انه نظمها بسرعة انفعالاً، واستجابة للموقف، فان يعايش الشاعر مجموعة من الرفاق حكموهم بالبقاء يرسفون في الاغلال مدى الحياة، فان ذلك ليس أمراً عادياً أو عابراً بالنسبة لمناضل وشاعر مرهف الحس.

الموقف سيطر على القصيدة:-

ولأن الموقف بحد ذاته كان قاسياً، فقد عكس نفسه على القصيدة، فجاءت مباشرة، صارخة، وكأنها تحاول الرد على الذين يزجون بأبناء شعبنا في غياهب المعتقلات، لا شيء اللهم لأنهم أحبوا وطنهم وأخلصوا لقضيتهم:-

مؤبد حكم الرفاق
وأي تأييد يكون
أهي الظنون... أم الجنون؟
أم لحم نسري ياكلون... هذا جنون

(ص٨٣ من الديوان)

ودلالات القصيدة لا تتعدى جانب التأثر بالموقف والتضامن مع الرفاق، وتشجيعهم على التحمل والصبر في معركة صراعهم... ويلاحظ غياب التأملية المتأنية من القصيدة، اذا ما قارنا ذلك مع العديد من الابيات الواردة بعد منتصف القصيدة الاولى التي استشهدنا بها واستمرت حتى نهايتها.

مهلاً رفاقي واصطبار
لو اشعلوا في الجسم ناراً

فهم الذين سيكتوون بنارهم.. وسيحرقون والاخرون هم الذين سيقهرون

وخلاصة القول: ان أشعار عبد القادر العزة، تتميز بصدقها وحرارتها، وقدرتها على العيش، لما تحمله من معان.

واذا كان معتقل الجفر قد أغلق منذ سنوات طويلة، ولم يعد له ذكر، وان الانتماء لهذا الفصيل أو ذاك كف على أن يكون تهمة يعاقب عليها المواطن هناك، الا أن دلالات القصيدة الثانية التي نظمها في معتقلات الاحتلال، ما زالت قائمة، لأن المحاكم الاسرائيلية كل يوم تصدر الاحكام التعسفية على عشرات المواطنين الفلسطينيين.

عبد القادر العزة، شموس الصباح والود القديم، منشورات اتحاد الكتاب، ط١-١٩٨٩م.

الواقعيـــة

ما هي، ما كتب فيها....؟

ناصر علي ابراهيم - الجولان

المصابيح الزرق هي اسم لرواية ترسم صورة واقعية للمجتمع العربي السوري إبان الاحتلال الفرنسي، وكاتبُ هذه الرواية الروائي المعروف حنا مينا الذي عرف واقعه معرفة جيدة، واختزنه كاملاً- دون أن يجرب الانتقاء أو الاختيار او الاختصار والتلخيص ويبدو أن زخم الواقع وامتلاء الكاتب به كاد أن يخرجه من ضوابط الفن وذلك لكونه لا يختار الواقع بالدلالات والرموز والايحاءات وإنما يعرض صورته بمجرد سرد آلي لأحداث الواقع.....!

..... وكروسيه هي إحدى ضواحي مدينة روان عاصمة النورماندي وهناك يربض منزل فلوبير القديم هادئاً، يستقبلك نهر السين على الباب رقراقاً واسعاً، ثم يتركك لكي يكمل طريقه حتى يعانق الهافر وعلى مدى الطريق الطويلة تتلقاك الغابات تدخل البيت العتيق فتسمع وشوشة خفيفة بين الاشجار ثم تطل إمرأة من الطرف الآخر تتقدم وتبتسم وتقودك إلى حرم الطابق الكبير إلى متحفه ومكتبه وغرفته الخاصة حيث كان يكتب ويستقبل ضيوفه...

في الوسط مكتب عتيق، وراءه كرسي من طراز لويس الخامس عشر، وعلى الجدران صور مختلفة لأصدقاء فلوبير وصديقاته من برجوازيي القرن الماضي تحت زجاج أحد المكاتب تشاهد نسخاً مخطوطة لمدام بوفاري، ويسترعي انتباهك فوراً مقدار التشطيب والحذف أو الاضافة التي كان يجريها الكاتب على رواياته... في كل عبارة تقريباً تشطيب واعادة نظر واستبدال كلمة بكلمة، أو حذف إشارة استفهام أو تبديل حرف بآخر.... عندئذ تعرف لماذا يهتم الاسلوبيون والنقاد البنيويون بكتاباته أكثر من سواها...

تخرج من البيت وتضرب بنظرك المدى البعيد فترى القرى الجميلة تسطع تحت الشمس وتتناثر في كل مكان..

تقارن ما بين الراهن بكل حداثته وتقنيته وتطوره وما بين الصور التي رأيتها في المتحف والتي تعود إلى القرن التاسع عشر وتلاحظ الفرق...

حقاً لقد مر الزمن من هنا، وبسرعة شديدة تتذكر مناطق أخرى لا يمر فيها الزمن إلا ببطء، هذا ان لم يتوقف، ... فتأسف وتتحسر.

هذا هو فلوبير، هذا هو بيته، وهذه هي أشياؤه أين مدام بوفاري...؟

"انني لا أحب مدام بوفاري، ولا أحب فلوبير ولكني أجد كتابه هذا جدير بالاعجاب"

-جان سارتر-

فليس سارتر وحده لا يحب رواية "مدام بوفاري" حتى كاتبها فلوبير قال: هذه الرواية تعذبني انني فعلاً متعب أكثر مما لو كنت أو حرج الجبال... بصراحة ان هذه الرواية تضجرني...

رغم هذا بقي فلوبير خمس سنوات يكتب هذه الرواية وسارتر خصص (٢٨٠١) صفحة لرواية فلوبير (مدام بوفاري) بكتابه المشهور (أبله العائلة) والذي لم ينجز قبل وفاته ولدى المقابلة التي أجرتها معه مجلة (لارك) الفرنسية وجه له السؤال التالي "لماذا التركيز على مدام بوفاري..؟" لماذا تتخذها نقطة البداية والنهاية لكتابك الكبير أبله العائلة باستثناء كل روايات فلوبير الاخرى...؟!

يجيب سارتر:

لأنني أعتبر مدام بوفاري عملاً فنياً مطلقاً.

وقال زولا: "لقد عمل فلوبير على اعلاء شأن الكلمة التي طالما اشتاق الجميع إلى سماعها فقد مكنها من أن تعرض نفسها رواية "مدام بوفاري" من الوضوح والكمال مما يجعلها نموذجاً أساسياً للمذهب الطبيعي في الفن.

رغماً عنه أصبح فلوبير زعيماً للمدرسة الواقعية في الأدب الحديث كله.

آخراً مثل بلزاك يقول «ان المجتمع الفرنسي سيكون هو المؤرخ أما أنا فلست إلا مجرد سكرتير له»

فأعمال بلزاك من طليعة الاعمال التي أدت الى انتصار الواقعية وتعد مقدمته التي كتبها عام ١٨٤٢ المجموعة القصصية الكبيرة "الكوميديا البشرية" والتي شاع فيها مصطلح الواقعية بمثابة الاعلان عن المذهب الواقعي قدور بلزاك هذا جعل فيلسوفاً كبيراً مثل انجلز لا يجد سواه ليشرح من خلال أعماله

رأيه في الواقعية، فقد جاء في خطابه إلى الروائية البريطانية مارغريت هارليتز في نيسان ١٨٨٨ بمناسبة اهدائها له نسخة من روايتها "فتاة المدينة" والتي فضحت من خلالها البؤس الذي يعيشه العمال في المدن وبالتحديد في مصانع مانشستر.... جاء في خطابه هذا قوله:

... «لأضرب لك مثل بلزاك الذي أعده سيداً من سادة الكتابة الواقعية أنه أكثر بكثير من اميل زولا واضرابه سواء في الماضي أو الحاضر.. ومجموعة قصصه "الكوميديا الانسانية" تاريخ واقعي رائع للمجتمع الفرنسي...

وجاءت كتابات شانغلوري عام ١٨٥٧ وخاصة مؤلفه الذي يحمل اسم «الواقعية» قد رفض الاشكال المعاصرة للأدب الخيالي وحدد مبادئه بحيث يقدم الفن تمثيلاً دقيقاً للعالم الواقعي.

كيف يمكن أن أفهم الواقع...!

كيف يمكن أن أعرف ما هو موجود ...؟

من هنا تتخذ الواقعية طابعاً نقدياً متحركاً وغير نهائي لذلك فان فهم الواقع لا يمكن أن يكون كاملاً في وقت من الاوقات فالبحث والتساؤل هي صفات الفكر النقدي الحر الذي يتمتع به عادة كبار المفكرين المعاصرين واذا ما اتخذنا مفكراً مثل ماركس نجد أنه كان باحثاً عن الحقيقة التاريخية في عصره...

فنظرة الواقعية موضوعية وعلمية فبدل النقد والتشريح تتبع وضع البدائل ومن هنا بدأت مرحلة السعي إلى الحقيقة، فعلى الباحث أن يصل الى التفاصيل في الحقيقة لا من التاريخ فحسب ولا من الخيال وإنما تقديم الحياة الحقيقية لا صورتها الشكلية ولمزيد من التفاصيل والجزئيات ولتكون مطابقة للواقع، كان يرى بلزاك بأنه يتوجب البحث حتماً في المشافي ومكاتب رجال القانون حيث يستطيع الباحث أن يجمع كل ما هو مضحك ومفجع،فعند الاطباء اسرار كثيرة وعند رجال القانون. حيثيات تضارب المصالح ومن الاسرار والعواطف والمصالح تتكون الحياة الانسانية وعلى الكاتب الواقعي أن يتعقب كل التفاصيل وليس أن يبقى الكاتب في تأملاته ورمانسيته مع الاتفاق عن أن الرومانسية مهدت إلى الواقعية وكانت الرومانسية في فترة من الزمن التربة التي زرعت فيها بذور الواقعية وهذا يعني أن المرحلة المبكرة من الواقعية الانتقادية كانت الرومانسية.

فدائماً الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد حياة الكاتب والانسان الذي يعيش هذا الواقع . فعلى الباحث أن يعي الواقع الذي يعيشه ويحلله بقصد توضيح موقفه من المعالجة المطلوبة وهذا عبر تسلسل موضوعي.

يقول هيكل: الفكرة هي ما يسعى إليها التاريخ في تطوره، فالتاريخ يدخل مراحله مرحلة بعد مرحلة وينتهي الامر إلى تحقيق الفكرة واقعاً.

أما روجيه جارودي: فيضفي على الواقعية ثوباً فضفاضاً فهي عنده واقعية بلا ضفاف، حيث يقول في الفن بأن الفن الاصيل يعبر عن شكل الوجود الانساني في العالم ومن جهة أخرى يقول: أن يكون الانسان واقعياً لا يعني على الاطلاق نقل صورة الواقع بل محاكاة نشاطه وهو ليس تقديم نسخة منقولة له من خلال «ورق شفاف» فالواقع الانساني في الحقيقة مزيج غريب من الملاحظات المنظورة والمشاهد اللاواعية الكامنة في أعماق نفسه،والتي لا تنفصل عن واقعه الذي يعيشه.

أما المذهب الطبيعي هو الذي تتغلب فيه الحقيقة عن كل من العقل والتفكير فالكاتب الطبيعي يقتصر على تصوير الحقيقة المجردة وكشف بواطنها ولا يسمح بتفكيره في شأن هذا التصوير كما يفعل الكاتب الواقعي الذي يهتم بالبحث والتقصر في تعقيد القاعدة وتقنين القوانين ووضع النظم والنظريات.

فيرى كوفت: أن تاريخ الانسانية يمر بثلاث مراحل وتتسم كل منها بأسلوب فكري خاص

= المرحلة الاولى: وهي المرحلة الدينية حيث تفسر الاشياء إلى عالم الروح والالهة.

= المرحلة الثانية: وهي مرحلة الميتافيزيقية حيث يفسر كل حادث بأسباب ومبادىء مرحلية.

= والمرحلة الثالثة: وهي المرحلة الوضعية وهي أرقى مرحلة ولا يبلغها الانسان الا من خلال الواقع وقياسه.

فالانسان مشروع الوجود الذي يتصوره ووجوده هو مجموع ما حققه وحياته هي مجموع أفعاله وهنا يبرز رأي الفلسفة الوجودية حيث الذاتية هي أولاً كون الانسان يكتشف ذاته بالكوجيتو (أنا أفكر أنا موجود) ومن يكشف ثم ذوات الآخرين وواقعه.

ويجد بأن وجود الآخرين ضروري لوجوده فهو ليس شيئاً ما لم يعترف به الآخرين وهنا تبرز الواقعية بنزعة حتمية جبرية تنفي من الانسان حرية الارادة والاختيار خارج الواقع، فالخروج من الواقع ظاهرة تفسر بالمثالية. فالمثالية تتعارض مع الوجودية والواقعية.

فالواقعية ترتكز على المفهوم المادي للتاريخ والمفهوم المادي للتاريخ ليس حكراً على الفلسفة المادية.

فالوعي والوعي الاجتماعي يتجسد بالواقع وبالتالي يمثل إنعكاساً إلى هذا الحد أو ذاك للحقيقة الموضوعية لهذا المجتمع أو ذاك ضمن ضوابط قوانين التطور الاجتماعي والتي تنقسم إلى مجموعتين.

١- القوانين العامة الصالحة لجميع التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية.

٢- القوانين الخاصة، مع الأخذ بعين

الاعتبار عدم إمكانية فصل أي من المجموعتين عن بعضهما حيث لا يمكن بأن تكون القوانين الخاصة وحدها في الواقع.

فاذا كانت القوانين الخاصة تمثل ظروف الحياة لهذا المجتمع أو ذاك فان القوانين العامة تنطبق على أي مجتمع إنساني أيّ كان مستوى تطوره وأياً كان النظام السائد فيه فان العام موجود واقعياً ولكن ليس خارج الخاص بل في قلبه، هذا يؤكد قول بياجه أن موضوع الفسلفة يشمل الواقع برمته لأن الفلسفة توجه اهتمامها إلى كلية الواقع، ومشكلة الفلسفة تتمثل بالميتافيزيقيا.

ولدراسة الواقع لا بد من التدقيق بالسلوكية ودراسة العلاقة ما بين السلوكية والواقعية لكون هناك علاقة وثيقة ما بينهما بهدف بلوغ الجوهر من خلال دراسة الظواهر الخاصة وأن أحد عناصر الواقعية المكونة للنظرية السلوكية يتضمن البدء من الوقائع الجزئية القابلة للملاحظة حتى نبلغ قوانين السلوك حيث السلوك هو العنصر الموضوعي القابل للملاحظة ويمكن معالجته معالجة علمية.

يتبين بأن الواقعية، هذا المصطلح المشهور جداً حتى الابتذال والمستخدم جداً من قبل الجميع ليس واضحاً وبسيطاً بالشكل الذي يتصوره البعض وانما ينطوي على عدة معان تختلف عن استخدام لآخر وتصل أحياناً إلى درجة التناقض.

إذ لا نكاد نعرف لفظاً أو اصطلاحاً حديثاً اضطربت دلالاته وتنوعت مفاهيمه مثل كلمة "الواقعية" وعرضها كارل مانهاتم في قوله: «ان الواقعية تعني أشياء مختلفة في سياقات مختلفة».

عـادل إمــام والتطــرف

من أهم الافلام التي تعرض حالياً في دور السينما المصرية فيلم "الارهابي" لعادل إمام، وتأتي أهميته لأنه من بطولة نجم محبوب يقبل عليه الجمهور في أي عمل يقدمه وأيضاً لأنه يعالج ظاهرة التطرف والارهاب ولأن الموضوع شائك فقد جرى التكتم على أخباره طوال فترة التصوير بل ووضع له اسم تمويهي هو "أيام الحب والعنف" وبعد الانتهاء من التصوير كشف عن العنوان الحقيقي فاذا هو «الارهابي» وقد وافق عادل إمام على هذا الفيلم بعد تمثيل فيلم «الارهاب والكباب» مؤكداً عزمه على الاستمرار في طرح قضية الارهاب التي تؤرق المجتمع على اعتبار أن الفنان لا بد أن يكون فاعلاً في المجتمع ويقوم عادل إمام في الفيلم بدور عضو في إحدى الجماعات الارهابية المتطرفة يكلف بمهمة انتحارية وأثناء سيره بالسيارة لتنفيذ العملية يقع له حادث يتعرف من خلاله على عالم آخر يسوده الحب ويكتشف مفاهيم جديدة تغاير مفاهيم التطرف التي يعيشها ... فيتغير شيئاً فشيئاً وينقلب ضد كل مفاهيمه السابقة.

هذا وتفرض سلطات الامن المصرية حراسة مشددة على دور السينما التي تعرض الفيلم، كما تبقى عينها من بعيد ساهرة على عادل إمام نفسه حرصاً على حمايته وسلامته من أي رد فعل مفاجيء على دوره في الفيلم.

فيلم "القاتلة" لإيناس الدغيدي

وجبة مشبعة بالجنس والدم والدراما هي الضحية!

علي أبو شادي

تسيطر المبالغة على كل عناصر فيلم «القاتلة» آخر أفلام المخرجة إيناس الدغيدي والذي عقدت لواء بطولته للراقصة التي "أدمنت" التمثيل فيفي عبده.. بعد أن اقتحمته في البداية بشهرتها وفلوسها وراح اسمها يتصدر ملصقات العديد من الأفلام: نجمة، وبطلة، تدعمها مؤهلاتها "الأنثوية" النافرة وقامتها الفارهة، وإن كانت من ضمور شديد في الموهبة وقصور في الوعي الفني.. وان أبدت استعداداً - يؤججه حماس متهور - لأداء أدوار الاغراء أو المشاهد التي تعتمد على ايماءات وايحاءات - أو أفعال - جنسية، تخاف زميلاتها من الممثلات الاقتراب منها، في ظل ظروف يخيم عليها شبح الخوف من عناصر التطرف.. والتي باتت تهدد مستقبل الفنون في مصر، بالترهيب أو الترغيب.

يعتمد سيناريو «القاتلة» الذي كتبته الناقدة والكاتبة السينمائية ماجدة خير الله -سواء في حبكته الدرامية أو في تفاصيل المشاهد- على أصول عديدة من تراث السينما العالمية فيما يسمى بسينما الجريمة وأفلام التشويق، ولا يقف ذلك عند حد التأثر أو تواجد بعض الأصداء والظلال وإنما يتجاوز ذلك إلى النقل المباشر والكامل من العديد من الافلام مع قدر كبير من المبالغة، فقد (الكولاج) الناتج، أو ذلك الخليط، مصداقيته، وقدرته على الاقناع، لغياب المنطق داخل الدراما والاعتماد على الايفال في الجنس أو السياسة في أرخص صورهما، ذلك أن المخرجة -وكاتبة السيناريو- قد اكتشفتا أن جرعة الجنس بتنويعاته المختلفة، والتي استنزفتا فيها طاقة فيفي عبده، قد أوشكت على النفاذ في منتصف الفيلم.. فكان لا بد من الزج بالسياسة التي تشكل الوجه الآخر لعملية استجداء -أو ابتزاز- الجماهير.

الجنس والسياسة

بالتأكيد، من حق أي فنان أن يتعامل مع كلا العنصرين -الجنس أو السياسة- باعتبارهما من الأمور الجوهرية في حياة الفرد -النفسية والاجتماعية- وبشرط أن يتم توظيف أي منهما، دراميا كجزء من البناء العضوي للفيلم وأن يتحاشى ذلك التعاطي المجاني، الممجوج، الذي بدا واضحاً عند صناع (القاتلة)، وأفصح عن رغبتهم المستعرة، في تقديم وجبة دسمة من اللحم العاري والحركات والتأودات على شريط الصورة يصاحبها سيل من التأوهات والفحيح على شريط الصوت، وتكرار ذلك بشكل ميكانيكي.. ومتتال، من دون ضرورة حيث نرى البطلة تتهادى في دلال في بنطال يكاد يلتصق بجسدها.. أو في ملابس تكشف أكثر مما تخفي أو تتأمل، بشغف، مشاهد من فيلم جنسي.. وتتحسس جسدها في شبق عنيف!!

رجاء (فيفي عبده) سيدة وديعة، تتحلى بخلق رفيع، محتشمة، رغم جمالها الظاهر، تدير محلاً لبيع الزهور في رقة ودماثة.. أكسبتها ثقة عملائها خاصة حسام (فاروق الفيشاوي) ضابط الشرطة، النبيل.. ووالدته الطيبة التي تكن قدراً كبيراً من الحب.. والعطف على رجاء، بل انها تتمنى، لو اختارتها زوجة لابنها الوحيد.. لولا سابق زواجها!!

يواجه الضابط حسام في دائرة عمله، بعدد من جرائم القتل، المتكررة، يختلف ضحاياها.. وان توحدت أداة الجريمة.. وتخلو كلها من دافع السرقة.. وان اشتم فيها رائحة «الجنس» التي فاحت من العمل كله!

لا يجنح صناع الفيلم إلى زيادة جرعة التشويق، بل انهم يكشفون عن «القاتلة» من دون انتظار.. وتتفرغ الدراما لمتابعة جهود الشرطة في البحث عن القاتل.. وكان من الضروري في إطار تقاليد الدراما المغلقة، ان يكون من أقرب الاشخاص إلى ضابط الشرطة

لقطة من فيلم «القاتلة»

وأكثرهم بعداً عن الشبهات.. وتحاول كاتبة السيناريو أن يبدو فيلمها قريباً من السيكودراما البوليسية التي برع فيها هتشكوك وقدم نماذجها الأكثر نضجاً في تاريخ السينما، لكنها تسقط في مستنقع ما يمكن تسميته «بالسكسودراما».. التي تحفل بالجنس المجاني المتملق لغرائز الجماهير المكبوتة!! فالبطلة رجاء، القاتلة مصابة بمرض نفسي يحولها إلى حية رقطاء تسعى في الليل لاصطياد ضحاياها من الرجال النزقين تستدرجهم وتحرك لواعجهم الجنسية إلى أن تغرس مديتها في ظهورهم.. لتعود إلى شقتها تتطهر بالماء الدافىء وتحتسي كوباً من الماء البارد به قرصاً منوماً لتنام هادئة.. قريرة العين، ولا تنسى المخرجة، في تكرارها الممل، أن تجعل بطلتها، من باب التغيير، وتمهيداً لحالة الانفصام التي تعاني منها القاتلة.. تجعلها تشاهد فيلماً جنسياً يدفعها الى العبث بجسدها.. لتصل إلى ذروة شبقها الذي يدفعها إلى القيام برحلتها الليلة!! ويلهب خيال المشاهدين أيضاً!

سادية غريبة

في بداية الفيلم، ومع العناوين، نتابع مشهد اغتصاب وحشي، تتعرض له فتاة صغيرة، يتكرر في غلظة على مدى الفيلم. يفسر به الفيلم حالة رجاء، مبرراً كراهيتها للرجال، لكنه يتابع رحلة الشقاء التي عاشتها البطلة مع زوجها السابق، الذي لم يسلم، بدوره، من مبالغات صناع الفيلم. فجعلوا منه وحشاً ضارياً لا يتورع عن ضربها، ونهش لحمها.. وتمزيق جسدها.. واطفاء السجائر في ظهرها!! وكأن الاغتصاب الذي تعرضت له في طفولتها بآثاره النفسية المدمرة، لم يكن كافياً من وجهة نظر كاتبة الفيلم، ومن ثم توغل مرة ثانية في الدم بسادية غريبة حين تصور رجاء وهي تقوم بارتكاب جريمتها الاولى فتقطع جسد زوجها، بعد قتله، قطعاً صغيرة -ربما تمنت الكاتبة أن نرى تلك الاجزاء- مخضبة بالدماء لولا خشيتها من الرقابة!

يتزايد اهتمام الشرطة بمسلسل الجرائم المتكرر حين يقع الوزير عدنان المهدي

(حسن حسني) ضحية رجاء.. التي تسيل لعابه، رغم حرصه وحنكته.. وجمال زوجته. وفي الشاليه الخاص.. يسقط -كمن سبقه- صريعاً بعد أن تنتهز المخرجة الفرصة لتطلعنا على مواهب فيفي عبده في الرقص.. والتي لا تتورع بدورها عن تقديم رقصة مشبعة بالايحاءات الجنسية.. تجعل الوزير، العاقل، الرزين، المتربع على الارض ينظر اليها في شبق عارم.. فاغراً فاه.. لا يغلقه إلا مع آهة الموت الأخيرة!

تصاب الأجهزة بحالة هستيرية.. وتنشط للبحث عن القاتل.. وينتهز الفيلم الفرصة ويتلكأ قليلاً كي يشير بشكل عابر إلى نمط التفكير «التآمري» السائد لدى بعض السياسيين ورجال الشرطة الذين يسرعون بالصاق التهمة، بالمعارضة، ويحاولون البحث عن أسباب سياسية لمصرع الرجل، باعتباره نوعاً من الاغتيال السياسي!

يلتقط حسام أول الخيط حين يشاهد أثناء عمله في إحدى لجان تفتيش المرور الليلية جارته رجاء في ملابس غريبة، وخليعة.. ويتابعها ليكشف أنها القاتلة.

كان من الممكن أن تنتهي الدراما عند القبض على رجاء، لكن كاتبة السيناريو ماجدة خير الله، تمد خيطاً درامياً جديداً متشعباً حيث تقرر زوجة الوزير الانتقام بنفسها لرجلها من المرأة التي تسببت في فضيحتها وفضيحته.. وتضرب بالقانون عرض الحائط.. وهنا يقرر حسام الاستقالة للدفاع عن القاتلة المظلومة باعتبارها ضحية ظروفها النفسية.

تبدأ رحلة جديدة من الكر والفر.. بين حسام ورجال زوجة الوزير.. يسرقون المستندات من مسكنه.. ويدبرون حادث سيارة تنكسر فيها ساقه لمنعه من حضور المحاكمة.

تتدخل زوجة الوزير (إيمان) بعلاقاتها لتغيير القاضي ومن ثم يحكم على رجاء بالاعدام!! وكما سبق وان فعل مدحت السباعي في "امرأة آيلة للسقوط" تحاول ايناس الدغيدي اعادة مشهد الاعدام الشهير في الفيلم الامريكي "أريد أن أعيش".. وبينما ترتفع يسرا، بأدائها المرهف والمقنع والحساس بمشاهد النهاية عند مدحت السباعي.. تسقط تلك المشاهد في "القاتلة" بسبب إسراف ايناس الدغيدي في حشد التفاصيل، وقدرات فيفي عبده.. المحدودة، وعجزها عن الاقناع.. وانفعالاتها التي اتسمت بالمبالغة والافتعال.

غلظة الحس

يأبى صناع الفيلم الا ينتهي قبل استكمال وجبة الحس الغليظ التي أثقلت صدر المتفرج.. ولا بأس أن نرى بنطال القاتلة غارقاً في "البول" تعبيراً فجاً عن هلعها من لحظة الاعدام.. ولا مانع من ان تطلب فيفي عبده طلباً أخيراً من فاروق الفيشاوي -محاميها- الذي يصل في اللحظة الأخيرة، تطلب أن يحضنها!! هكذا، وينظر الفيشاوي إلى مجموعة الكومبارس المتحلقة حول فيفي عبده.. وتتابع الكاميرا الهازلة، كلاً منهم وهو يهز رأسه موافقاً على «الحضن الأخير»!! ويندفع الفيشاوي إلى فيفي يحتضنها.. وتثبت المخرجة اللقطة على الوجه البارد لممثلتها البائسة الخالي من أي انفعال!!

«القاتلة» يكشف، ويعبر عن «حسية» صانعاته الثلاث ماجدة وفيفي وايناس.. ويوضح لهفتهم لتقديم فيلم تفوح منه رائحة الجنس التي تجتذب الاف المشاهدين.. وقد نجحن في ذلك.. وتقاطرت الجماهير على دار العرض.. وخرجوا منها شاكرين لثلاثي «القاتلة» هذه الوجبة الدسمة من الجنس. والدم!!

فريد الاطرش ذلك الفريد في فنه وأخلاقه.. أسرار جديدة

لعب دور الشيطان مع بديعة مصابني وعاش ملاكاً في حياته الخاصة

فريد الاطرش

عبد الفضيل طه

تمر الايام، وتمضي السنون، وتتوالى الأحداث، يذهب جيل ويأتي غيره، وتبدل الحال غير الحال وتفعل الايام بالناس ما تفعل وتتشابك المصالح شخصية ودولية. وفي خضم كل هذه المتغيرات.. يظل النغم الاصيل في الاذان وفي القلوب، يخفف الام النفس ويدغدغ الاحاسيس والعواطف.

يظل فريد الاطرش... نغم العرب الخالد حياً في النفوس.. شاهداً على وحدة المشاعر بين الشعب العربي شرقاً وغرباً يملأ دنيانا بكل ما هو جميل رغم أنه غائب منذ ما يزيد عن ٢٠ سنة تحت الثرى.

قبسات من حياته

قليل من الفنانين من تطابقت حياته الخاصة مع حياته الفنية وكان سلوكه اليومي جزءاً من فنه، وفريد كان واحداً من هؤلاء القلائل. كان نهراً من العطاء سخياً كريماً، الحب حياته ولا تعرف الضغينة طريقاً إلى قلبه.

كان بيته مفتوحاً لكل أصدقائه يزورونه وقتما يشاؤون.. يجلسون.. يأكلون.. يمرحون نهاراً وشطراً من الليل.. وأحياناً يقضون كل الليل في رحاب ضيافته.

يقول صديق عمره الكابتن حنفي بسطان.. كابتن مصر والزمالك في كرة القدم في الاربعينات:

لم أر في حياتي رجلاً مثل فريد الاطرش. كان فريداً في أخلاقيته، وحيداً في سخائه وكرمه. اعرف -والكلام لحنفي- مجموعة من أصدقائه كانوا يقيمون في بيته بصفة دائمة حتى وهو في سفريته.. كان البيت مفتوحاً لهم.. يقوم عم عبده الطباخ الخاص بفريد باعداد الولائم لكل من يأتي إلى البيت تنفيذاً لرغبة فريد، أمواله لم تكن ملكه بل ملك كل من يطلبها حتى وان لم يكن صديقاً.. لهذا لم يترك فريد الكثير من الاموال عندما رحل عنا سنة ١٩٧٤.

وهذا الذي يقوله حنفي بسطان عن صديقه الراحل حقيقة يعرفها كل من عرف فريد الاطرش وكاتب هذه السطور واحد منهم.

سهراته مع عبد الوهاب

وعندما كان فريد الاطرش يجلس على قمة الموسيقى والغناء مع غيره من الكبار، محمد عبد الوهاب ورياض السنباطي وزكريا أحمد ومحمد القصبجي وأحمد صدقي وغيرهم، كان محباً لهم صافي القلب والروح. وكثيراً ما كانت السهرات الفنية تقام في منزله أو في منازل زملائه الفنانين الكبار، وكانت أحلى السهرات تلك التي تضمه مع

موسيقار الاجيال محمد عبد الوهاب. كان عبد الوهاب يغني في السهرة أغنيات فريد المشهورة مثل.. يا للاسوا أو حبيب العمر، ويغني فريد روائع عبد الوهاب في الاربعينات مثل كليوباترا أو الجندول.. وكثير من هواة التسجيلات النادرة يملكون هذه السهرات مسجلة على شرائط كاسيت.

ونفس الشيء كان يتم مع عبد الحليم حافظ رغم ما كان بينهما من منافسة في الغناء العاطفي والحفلات خاصة حفلات الربيع التي نبغ فيها فريد كما لم ينبغ أحد من الفنانين من قبله أو بعده. فقد أضفى هذا الفنان على ليالي أعياد الربيع بهجة لم تكن له قبل أن يغني فيها كل سنة:

أدي الربيع عاد من تاني
والبدر هلت أنواره
وفين حبيبي اللي رماني
من جنة حبه لناره

وفريد كان يعيش وحيداً من الأهل وليس من الخلان، فقد كانوا كثيرين. ماتت شقيقته أسمهان في مقتبل العمر وهي في قمة نضوجها الفني وانشغل شقيقه فؤاد بحياته الاسرية وأسرته من أمراء الطرشان يعيشون في جبل الدروز في سورية.. واتخذ هو من مصر وطناً أصيلاً له.

ورغم كل حياة الفن والغناء والسهر، فقد كان لغياب الاسرة والاهل عن حياته تأثير كبير صبغ الحانه بنوع من الحزن الدفين حتى وان كانت هذه الاغاني فيها الفرح والابتهاج.

ولتسمع إذا شئت:

ما قالي وقلت له
وجاني ورحت له
يا عوازل فلفلوا

هي أغنية فرحة ايقاعها سريع راقص نغماتها لامعة متفردة، رغم كل هذا فهناك الشجن والحزن ينساب في اذن وقلب المستمع ويحس بتراكم الاحزان التي تملأ القلب الكبير الذي ابدع هذا اللحن. على هذا كانت ألحان الموسيقار الراحل:

يا زهرة في خيالي ... حبيته ولكن ما بقولشي .. يا حبايبي ياغاليين .. ما نخبيش عليك .. ياللا توكلنا على الله .. ما أكتب على اوراق الشجر، وحتى المرح منها مثل يا ما في الدولاب مظاليم .. وديالوج مالكش حق الذي غناه من الفنانة نور الهدى .. وغير ذلك من الاغنيات المفروض أنها راقصة لكن لكنة الحزن واضحة فيها.

والذي يؤكد ما أقوله هو ابدع ما كتب فريد كانت تلك الاغاني التي تعبر عن شعوره بالوحدة مثل وحداني أعيش وحداني.

ولا أقول يا غرام أبداً تاني

وحكاية غرامي.. وسألني الليل.. وغيرها.

قصة زواج

عاش فريد وحيداً من الاهل كما قلنا ولكن بعد رحيله ظهرت سيدة قالت ان فريداً كان قد اقترن بها على سنة الله ورسوله ورزقهما الله بابنة لكن يبدو أن أوراقها التي تثبت صحة كلامها كانت قد ضاعت رغم أن أصدقاء لفريد ومنهم حنفي بسطان أكدوا ما قالته السيدة التي توفيت بعده بقليل ثم لحقت به وبها ابنتهما.

ورحلة الانسان في الحياة وما يقابله فيها من صعاب أو لين عيش هي التي تحدد مساره في هذه الدنيا، فاذا كان فناناً فان مفردات هذه الاحداث تترك انطباعها في نفسه ويترجمها بعد ذلك نغماً موسيقياً ورسماً ان كان تشكيلياً وقصة وقصيدة ومسرحية ان كان أديباً. وفريد الاطرش ليس استثناء من القاعدة فقد تركت حياته بصماتها على كل ما قدم من فن موسيقي راق.

ولعل تتبع حياته منذ المولد حتى الرحيل يؤكد لنا ما نقول خاصة وان الرحلة لم تكن سهلة ولا مفروشة بالورود وان كانت البداية في قصور أمراء الدروز بسورية سنة ١٩١٧ وجاءت النهاية في كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩٧٤ حيث رقد الجسد تحت ثرى مصر التي عشقها.

هرباً من مدافع الفرنسيين الغاشمة على جبل العرب جاء الطفل فريد إلى مصر تصحبه أمه وأخوه فؤاد والطفلة امال التي اشتهرت بعد ذلك فنياً باسم «أسمهان» واحتضنت مصر وزعيمها سعد زغلول اسرة الاطرش.. وفي شارع البكرية المتفرع من شارع الظاهر بالقاهرة سكنت الاسرة. ولأن والدته الاميرة علياء المنذر كانت تملك حنجرة جميلة وتجيد العزف على العود فقد احترفت الغناء في ليالي الكبراء في مصر لتعول الاسرة.. وعندما كبر الصبي فريد عمل بائعاً في محل يوزع الملابس على الزبائن متجولاً على ظهر دراجة.. وفي المساء يتلقى دروساً في الموسيقى والغناء بمعهد فؤاد الاول للموسيقى.. ذلك لأنه اكتشف نفسه كمطرب موهوب ورث حلاوة الصوت من والدته.

وعندما امتلك فريد ناصية فنه، نزل الى عالم الاحتراف في الفن مغنياً وعازفاً على آلة العود. كانت البداية في صالة ماري منصور بشارع عماد الدين ثم لم يلبث ان انتقل إلى صالة بديعة مصابني أشهر ملكات السهر في ذلك الوقت.. ثلاثينات هذا القرن. وبدأ في صالة بديعة عازفاً على العود مع الفرقة التي كانت تصاحب مطرب الصالة الاول في ذلك الزمن وهو ابراهيم حمودة ثم أصبح ومعه

شقيقته اسمهان من مطربي الصالة وترك الفرقة الموسيقية.

محمود فهمي ابراهيم

ويحكي الشاعر الغنائي محمود فهمي ابراهيم قصة تحول فريد من العزف إلى الغناء قائلاً: كنت في ذلك الوقت كاتب الاغاني الاول في صالة بديعة وعندما اكتشفنا مدى ما يتمتع به الاطرش من امكانات صوتية رائعة طلبت من صاحبة الصالة تأليف عدة اسكتشات استعراضية غنائية تكون هي البطلة ومعها ابراهيم حمودة المطرب الاول وفريد المغني الناشىء.. وبالفعل كتبت أول اسكتش غناه فريد وبديعة وابراهيم وكان "العازب والمتجوز" وهو من النوع الفكاهي الفارس ويقول في مطلعه.

من يوم ما خشيت دنيا.. وأنا في عذاب وأنين.

مهيتي على كولونيا رايحة وعلى الفساتين

ولحن هذا التريالوج ملحن الفرقة الاول حينئذ عزت الجاهلي.

ثم كان اسكتش ملاك وشيطان وامرأة وكانوا هم الثلاثة أبطاله أيضاً. وقام فريد بدور الشيطان. وهذه بعض كلماته:

بديعة: ألست لما تقول أنا «صدقني انا ووسع لها لتسوق عليك الشيطنة.. وتبهدلك من فعلها، دي ملاك رحيم في محبته وشيطان رجيم في أسيته، كيد النفوس وتضلها.. هي الشقاء وهي الهنا هي انا، هي أنا.

فريد وابراهيم معاً: ايه انتي يا ام جناح ضعيف.

بديعة: أنا واحدة من الجنس اللطيف.

أنا ملاك وشيطان، أنا شر انا احسان في الشقا.. في الهنا

فريد: ملاك لابس جزمة وفستان.. الله.. الله

شيطان بجفن كحيل نعسان. هاهاها

بديعة: المسألة مش بالكلام الشنان الرنان

المسألة بالعيان والبيان

ايه شغلتك يا ملاك افندي؟

الملاك (ابراهيم): أنا شغلتني راحة وألفة وبر..

ولحنه عزت الجاهلي أيضاً.

وعن هذه الفترة يقول الشاعر محمود فهمي:

كان فريد نسمة في الصالة يمتاز بالاخلاق العالية وحب الناس جميعاً، لهذا أحبه الناس كلهم وعاش بيننا ابنا محبوباً إلى أن ترك الصالة بعد أن نبغ في الالحان والغناء وبدا حياة أخرى لا وجود للصالات فيها.. وأصبح ملك الاستعراضات في السينما المصرية.

ورغم أن فريد الاطرش ترك صالة بديعة في أواخر الثلاثينات، الا أن صداقته مع الشاعر المخضرم محمود فهمي ابراهيم ظلت قائمة حتى رحيل المطرب العظيم، وقد ألف له محمود فهمي الكثير من الاغنيات أشهرها:

زينه.. زينه.. زينه.. ونورا نورا يا نورا.. ووحداني حاعيش كده وحداني و.. يا بنت بلدي.. و.. كل أغاني فيلم ما أقدرش وأغنية جبر الخواطر على الله.. مش طالب منك غير طله وموال.. يا حلو يا اللي الهوى هفهف على توبك. وغير ذلك من أغنيات ومواويل.

نورا.. يا نورا

يحدثنا الشاعر محمود فهمي قصة أغنية نورا.. نورا.. والسبب الحقيقي وراء تأليف هذه الاغنية يرويه لنا كاتبها فيقول: كانت هنا شخصية نسائية عربية ارتبط فريد الاطرش بعائلتها ذات الثقل الكبير في بلدها علاقة صداقة، فطلبت منه هذه السيدة أن يغني لها أغنية خاصة كما كان يفعل مطربو الخلفاء والأمراء في الزمن الغابر. استجاب فريد للطلب وكلفني بكتابة الاغنية باسم السيدة وهو نورا وكانت سمراء ابنوسية القوام كما يقول محمود فهمي. وبالفعل ألفت الأغنية ولحنها فريد وغناها. ومن هنا نرى أنه لا صحة لما يشيعه البعض من أن فريد كان على علاقة حب وزواج بملكة مصر السابقة ناريمان وأن الأغنية كانت بسببها.

فريد الاطرش ذلك الفريد في فنه وأخلاقه ..

أسرار جديدة

لعب دور الشيطان مع بديعة مصابني وعاش ملاكاً في حياته الخاصة

المطر الإسود

زياد عزت

ذاب الليل، هطل المطر، صمت القمر، بانت خيوط الشمس الحمراء... من وراء الشّجر وخلف الاقواس، جاء الجنون... ضاع التوحد... ضاع النعاس.

ضوءٌ جارحٌ فجر السكون.. أزهق الارواح.. تمايل الرعب ورقص على الشفاة، وازفت ساعة الصعود إلى السماء. نعق البوم وذهب الحلم.. انفجر الرعب مبان الجرم. الجيوب مملوءة بالدماء.. العيون تزفر بالحقد والرياء، من حلق الذئاب الجائعة، أطل الوميض ونسج من الاجسام البشرية جرماً سماوياً إخترق الفضاء.

انبعج الكون وتكورت السماء.... لفظ الجوف ما به من زفراتٍ زحفت على كل الشواطىء... عادت مع المد إلى عمق الظلام.

خريف أطلّ مع الفجر وتساقطت الأوراق، عبثت بها الرياح... أودعتها أحضان أمها... ضمتها.. بكتها بدموع أزلية لن يستطيع الشتاء بكل زوابعه وأمطاره الغزيرة أنه يغسلها، ولا حرارة الصيف أن يبخرها.

عيونٌ تفجرت في الربيع... سيولها دموعاً تمتصها بذور زرعت في أحضان الطبيعة، تستقيها كل الشجيرات اليانعة لتطرح ثمراً يحمل في جوفه بذور الحياة.

أيها الليل الأحمر أفق وكأسك المملوء دماً أرق.... من وهج النار.... وأوراق الغار... من قلوبٍ ثكلى... وعيونٍ تُدمى... إنسج الأمل وانزع الألم.

أيها الليل المظلم إتصل بالنهار عبر فجر جديد تفوح منه رائحة الربيع، أعشابه لن تجف من لهب صيفٍ عابر، ولن تسقط من رياحٍ جاءت من الزمن الغابر. أيها الليل الطويل قامتكَ ستنهار في وضح النهار... تتشكل الظلال... تحمي شقائق النعمان... يسود إحمرارها... ينطلق كالأنهار.

يـا شتاءً أمطاره سوداء

يا ربيعاً أعشابه جوفاء

يا صيفاً ثعابينه ملساء

يا خريفاً رياحه هوجاء...

يا نواميس الطبيعة وعوامل الفضاء.... أمطرينا قطرات الندى وامنحينا عبقات الرضا.... جُلّ ما نبغاه صيفاً واحداً بدون لظى.. وشتاءً يجمع الأحباب حول سراج يضيء الكرى.

الناس هنا وهناك تزف قلوباً ناصعة البياض إلى حدائق يانعة غناء، تمزح التراب والدموع أنغاماً أبدية من الأمل والرجاء....

الناس هنا وهناك تزف عريسها، تبكي فقيدها، تكتب حاضرها على ورق من البردى بخطوط أرجوانية تخط مصيرها... تضيء مستقبلها.

قبل الانتفاضة

"الهبوط الى سدوم"

فلورا اسطفان بطة

هناك في الجنوب، في أحد الفنادق... على شاطىء البحر الميت، جلست ذات ليلة، اكتمل القمر فيها بدراً مع بعض الاصدقاء، وقد استسلمت إلى صمت عميق أحدق في البحر، وقد نسيت ما حولي.. كانت نوبات السرحان والكآبة التي أعاني منها قد ازدادت حدتها وقد نصحت حرصاً على صحتي بتغيير الجو... أنا أعلم أن ما أعاني منه ليس مرضاً بالمعنى المتعارف عليه للمرض العضوي أو النفسي. كان ذلك أشبه بهبوط.. انحدار.. انسلاخ عن الرغبة في العيش، وكنت أقاوم.. فأترك نفسي تطير مع الاحلام.. كتبي، موسيقاي المفضلة، أصبحت عبئاً عليّ.. وقد كنت من أشد المتحمسين لقول الشاعر:

أعز مكان في الدنى سرج سابح
وخير جليس في الزمان كتاب

ما قالته الكتب؟ وما تفلسف به الفلاسفة؟ وما الوعود التي في الكتب المقدسة.. ما هي الموسيقى التي تخاطب النفس والروح؟ وأغرق في أحلامي الضبابية.. وفي هذه الليلة القمرية الساحرة.. عاودني الذهول.. القمر يلقي بأشعته الفضية على سطح الماء الساكن.. البحر الكثيف الملوحة.. يوحي بتخيلات عجيبة فريدة.. لو رسمها رسام بارع لاتّهم بالعبقرية أو الجنون.. وما الفرق؟ لحظت نظرات القلق الخفية المتبادلة بين أصدقائي وبسرعة رسمت ابتسامة على شفتي..

- "أليست هذه الليلة عجيبة الرؤى.. البحر الميت ولا حياة فيه والقمر بدر..؟" لا أحد يغرق في هذا البحر.. لم يعد فيه مكان للغرق بعدما حدث.. ما شعور الغريق وهو يغرق..؟ تنهدت بأسى سدوم وعمورة وكل الدائرة.. قبل آلاف.. آلاف السنين.. صعد شرهم إلى السماء فكان ما كان.. نار وكبريت وأصبحت دائرة المدن.. الجنة الخضراء صحراء ملحية جرداء والمدن التعيسة هبطت بما فيها الى أعماق البحر..

- "ألا تريد الدخول والاستراحة؟" قطع عليّ تفكيري صوت صديقي..

- "كلا..!! سأجلس هنا.. إنها ليلة جميلة.. سأكون بخير..!!

لا أدري كم استغرقني الوقت.. لم أعد أشعر بالزمن.. لعله توقف.. كانت فكرة،حزينة تلحّ عليّ.. لماذا فقط سدوم وعمورة.. لماذا؟ نحن نعيش أسوأ من ذلك.. ان أكبر مدن العالم تعيش أسوأ من ذلك.. نهضت من على الشرفة الارضية للفندق.. وسرت كالنائم.. هل هو جنون القمر أم جرعة مضاعفة؟! عفواً.. انا لا أتعاطى أي شيء.. حتى المهدئات التي وصفها طبيبي لا آخذها.. أقدامي تمسان الماء الدافىء المراكز الملوحة، وفكرة الغرق وشعور الغريق وما يعنيه تتسلط عليّ.. لا أحد يغرق في البحر الميت.. بدأ الماء يرتفع حتى وسطي.. والاشعة القمرية تلقي على وجهي الشاحب المذهول ظلالاً غريبة.. صدقوني، أنا لا أرغب بالانتحار.. لا شيء يستحق أن نأسف عليه.. عالم يذهب وعالم يجيء.. كل شيء وله وقته.. لماذا نأسف ونأسى..؟ بدأ الماء يرتفع والى أعلى صدري.. حتى عنقي.. والمياه تنحسر من حولي عن الجانبين.. رباه.. هل أنا في حلم؟ أم جلوسي لفترة تحت أشعة القمر البدرية يحدث في رأسي هذه الرؤى العجيبة؟! لا.. لست واهماً.. يد تقبض على يدي.. أرتجف.. ليس من البرد، بل من برودة اليد..

- "أنا ايكو.. رجع الصدى.. تمسك بيدي جيداً حتى لا تضيع..!"

- "ايكو..؟ ايكو؟ لا بد أنك تمزح.. قل لي هل سبق أن رأيت ميتاً ذهب ليغرق في البحر الميت؟"

- أغلق فمك.. أيها الغبي حتى لا تبتلع الماء.."

- "بالله عليك يا ايكو.. لماذا دعوه البحر الميت؟ هل لأنه مات من الملل والوقوف على جسر التنهدات والالم، أم لأنه قرف من الوضع الذي نعاني منه ففضل الموت، فدعوه بالميت..؟"

- "أغلق فمك أيها الاحمق.. انك تكاد تغرق..!"

- "ومن قال أني أحبّ الحياة؟ أريد تجربة شعور الغرقى..!!"

- "سنذهب معاً، أنا وأنت.. سأريك ما تريد رؤيته وما رأيته أنا وسأبقى أراه طوال الزمن.."

- بالله عليك يا أيكو..؟! ألست أنت ملاك سيدنا لوط عليه السلام؟" تنهد ايكو بحزن،

فظهرت فقاقيع في الماء..

- "ان الله سبحانه وتعالى رحم لوطاً وأهله وأنقذهم من النار والكبريت ولكن زوجته تحولت الى عمود ملح، لأنها لم تسمع كلام الله وزوجها.."

- "كلامك صحيح حسب الكتب المقدسة التي تؤنسك في وحدتك.. ولكن هل تعلم يا ايكو بان أصغر أبناء سيدنا لوط وأجملهم كان قد خطب صغرى بنات الشيخ حرمون..* لا بد أنك تعرفه.. الشيخ حرمون أحد كبار شيوخ جبال الشام.. وفي الليلة التي سبقت حفلة العرس.. حدثت الكارثة.. لم يستطع النجاة لأنه تأخر ليحضر طرحة الزفاف.. أكليل من الذهب الخالص المحلي بحبات كبيرة من اللؤلؤ تنسدل منه طرحة الزفاف.. كانت هذه أمنية العروس الجملية أن يتوجها أصغر أبناء سيدنا لوط بهذا التاج الثمين لتفاخر صديقاتها... وحدثت الكارثة.. أنا أعلم لماذا تحولت زوجة سيدنا لوط إلى عمود ملح!! ليس لأنها لم تسمع كلام الله أو زوجها.. لا.. انه قلب الام.. التي شعرت بأن أحد بأن أحد أبنائها ليس معها.. انها فقدته.. اما العروس الصغيرة وأثناء ارتدائها لثوب العرس الابيض سمعت بما حصل.. فانقلب العرس الى مأتم.. وهنا قالت لوالدها.: "تحملني يا شيخ.." فاحترم حزنها ومأساتها.. رفضت كل من تقدموا لها بعد ذلك.. انها ما تزال تجلس مع وصيفاتها الى الان.. منذ آلاف السنين.. تصور يا ايكو.. آلاف.. آلاف السنين.. لا تمل الانتظار..

يكتّف الشيخ حرمون بثوبها الناصع.. ثوب العرس الابيض.. مسدلة شعرها الاسود الطويل فوق جبة الشيخ الخضراء المخملية.. ودموعها تجري.. تنهمر مدراراً.. تشق التربة الحمراء، جارية على شكل نهر وبحيرات وينابيع تخترق الوديان والسهول، وعلى حافتيه الاشجار تنمو وتبتسم الاعشاب والازهار.. التي تموت وتحيا كل عام.. كل زهرة.. نظرة حب.. وكل عشبة تنهيدة ألم وذكرى.. وكل شجرة هي أمل يرجى.. دموعها تجري.. وتجري حتى تصب هنا.. هنا في هذا البحر القاسي المالح حيث ترقد مدن كاملة.. حيثحبها الضائع.. وطرحه زفافها التي لم تضعها على رأسها.. لا تمل الانتظار..

كنا قد وصلنا إلى أعمق أعماق البحر الميت.. عدة آلاف من الاقدام.. كان أيكو مرافقي يسير بسهولة وخفة.. وها زالت يده تقبض على يدي.. وقد تأثر بقصتي.. والمياه تنحسر عن الجانبين أثناء سيرنا، ويد بدأت تظهر أمامنا في الاعماق آثار طرق وشوارع عفا عليها الزمن..!! وفجأة توقفت..!! وقد انحبست أنفاسي من روعة المشاهد.. هل أصف لكم الرعب الساحق، أم الجمال الفائق، أم الرؤى المذهلة التي تسحق أعماق الروح سحقاً؟ هناك.. وعلى مدى آلاف السنين.. سدوم.. وعمورة.. وكأنهما بالامس.. كأن ما حدث حلم فظيع.. البيوت ما زالت كما كانت محافظة على طرازها زوجودتها.. محاطة بما يشبه ذرات ملحية وأشعة القمر تلقى عليها ظلالاً ليحينية.. والشوارع الكبيرة المضاءة بالقناديل الزيتية المعطرة.. تلقي بالاشعة القرمزية على الغلاف المعدني المحيط بها.. والمحلات والاسواق.. والناس.. كل مكانه حين حدوث الكارثة.. و و.. تابعنا السير والمشاهد تحكي قصة لعنة رهيبة.. الدوار يعتريني.. ضغط ايكو على يدي مشجعاً.. ابتسمت له الاخفي اضطرابي..

"ما رأيك بزيارة بيت سيدنا لوط؟"

سرنا سوية.. كل شيء يتحدث عن علم وحضارة راقية، لا تقاس بها حضارتنا المجنونة في هذه الايام.. ولكن كنا قد وصلنا إلى منزل سيدنا لوط.. كل شيء كما هو.. وقد ترك على عجل و.. و.. وفي الداخل شيء ما.. أصغر أبناء سيدنا لوط يحمل تاجاً من الذهب تنسدل منه طرحة بيضاء، ملامح الوجه الشابة.. ونظرات الافتتان والاحلام العذبة ما زالت مرسومة على الوجه الشاب كأنها حدثت الان.. صرخت.." يا للروعة!! انه الامل الضائع والاحلام الذاهبة." تنهد ايكو-. فحدث اضطراب في الماء.. سحبني خارجاً وحتى لا ألتفت إلى الخلف.. وقال..: "لا تحزن أو تيتئس.. لكل زمن خيره وشره والزمن الذي نعيش فيه لهو أفسد منالزمن الماضي.. أنا أعلم ما الشقاء الذي تعانون منه والضغوط الباعثة لليأس.. ولكن رغم الظلام يوجد نور.. وبعد اليأس فرج.. ان أخطاء سدوم وعمورة لا تقاس بشرور العالم عندكم.. انظر.. انظر هذه المدن العظيمة التي دفنت في البحر.. لقدأسقط عليها نار وكبريت.. وغلفت بالمعادن الثمينة.. هكذا شاء الله والبحر الميت ثروة عظيمة كلما استغللنا خيراتها في المجالات العلمية.. الانسانية.. سنحمد الله..

ابتسمت بأسى، وقلت لايكو:-

- "انك متفائل، حسن النية يا صديقي!! الا تعلم ما يحدث فوق؟ أنا أفضّل الموت على الحياة لأن قوى الشر تستغل نعم الله وخيراته لأجل تحطيم الانسانية باسم العلم والحضارة.. ان ابنة الشيخ حرمون في حداد دائم، لا تكف عن البكاء على ما حدث ويحدث وسيحدث.. لقد أرسل لنا الله الانبياء والرسل وما زال العالم بائس يسير نحو الهاوية.. كل رجل صلاح أو داعية للسلام.. مصيره القتل أو الاختفاء بظروف غامضة. شعوب تسحق.. عالم من البشرية تهضم حقوقها.. قتل.. تدمير.. صناعات جنونية.. تلوث.. نفايات.. جنون العظمة يسيطر على قادة العالم ويقودهم إلى الهاوية.. وبالتالي يجروننا معهم.. أرجوك يا ايكو، أنا خائف.. يائس.. لا تسخر مني.. أفضّل البقاء معك هنا.. مع هؤلاء المحظوظين.. أريد أن أبقى معك في الاعماق.. تغطى جسدي ووجهي

* حرمون - جبل الشيخ

ذرات الملح والمعادن.. أو أن أتحول لعمود ملح.. لا أريد الموت باحدى القنابل الذرية أو أعاني من التسمم بالغازات أو الاشعاعات المترسبة من الصناعات النووية.. لا أريد أن يتشوه وجهي وجسدي من الجراثيم والمواد الكيماوية التي يجربونها.. لا يأبهون للبشرية التعيسة.. لا أريد أن أرى الجمال الذي خلقه ربنا يدمر.. هل تعلم أنهم مزّقوا الستارة الكونية التي تغلف الكرة الارضية بغاز النفايات ولوّثوا البيئة؟! أرجوك يا ايكو الموت هنا مع الجماعة رحمة... على الاقل سأبقى على صورتي كما خلقني الله.. أما فوق فسأموت ؟أبشع ميتة مع غيري.. ايكو، دعني أبقى معك هنا.. سنحافظ على المدن كما هي.. سنتسلى سوية، لن تشعر بالملل معي.. ستحدثني أحاديث الزمن الغابر.. وسأحدثك عن جنون الزمن الحالي.. ضحك ايكو بمرح.. فتجاوبت ضحكاته في الاعماق.. شعرت أنني أرتفع معه للأعلى.. تشبثت به...

- "ايكو، لا تتركني.. لا بد أنك مللت الوحدة هنا."

- "دع عنك الخوف.. الا يوجد عندك ايمان؟ أين ذهب ايمانك..؟ ان رحمة الله كبيرة.. ستنسى آلامك وبؤسك.. ان من يحبونك ينتظرونك في الاعلى.. لا تخيّب أملهم.."

- "ايكو.. لا تتركني.. لا تتركني.. على الاقل أعطني شيئاً يذكرني بك.."

- "أنا مضطر لتركك. سأعود إلى الاعماق لكي أؤدي واجبي الابدي.. لن أعصي الله. ان الفجر بدأ بالظهور. وداعاً.. كن شجاعاً.. واجه مصاعبك وخوفك.. وساعد اخوانك في البشرية.. اخوانك المعذبين.." شعرت أنني أطفو على سطح المياه الكثيفة.. وقد بدأت المياه بالعودة إلى وضعها العادي كأنها ستارة تغلق على مسرحية عجيبة. ويد ايكو تفلت من يدي وصوته يتردد.." كن شجاعاً. لا تيأس من رحمة الله. واجه كل شيء بثقة. كل شيء سيكون بخير. أنظر للمستقبل بأمل وتفاؤل." الالم يمزقني.. الحزن يعصر قلبي.. الاشعة الفضية تخنقني وتخنقني معها الرؤى المذهلة تاركة للاشعة الذهبية في خيوط وردية مكاناً لتنعكس على صفحة المياه اللامعة.. مياه البحر وتلقي ظلالاً على جبال موآب المقابلة.

- ها هو.. الحمد لله.. إنه بخير..

لقد ملأنا رعباً.. لقد وجدناه..

فتحت عيني، وعدت فأغمضتها بسرعة لأن الاشعة الذهبية كانت تبهرني. كنت وما زلت أطفو على وجه البحر، أحاول الهرب من الوجوه المحدقة بي بعتاب وقلق.. نظرت الى ذراعي.. كانت علامة غريبة مرسومة عليها.. عدت أنظر إلى البحر.. هناك في الاعماق ايكو وصوته يتردد.." خلي عندك ايمان وأمل.." ضحكت بسعادة ولأول مرة منذ زمن طويل لم أضحك أو ابتسم وقد شعرت بحياة جديدة تملأني.. فقلت لاصحابي مازحا:-

"هل رأيتم واحد مثلي يفكر بالموت في البحر الميت؟" هناك في الاعماق ايكو حارس ايدي على سدوم وعمورة وفي الشمال ما زالت العروس ابنة الشيخ حرمون تجلس مع وصيفاتها في كنف والدها الشيخ بثوب عرسها الابيض مسدلة شعرها الاسود الطويل على جبة الشيخ الخضراء المخملية ودموعها تجري وتجري على شكل نهر يروي التربة الحمراء.. يحكي قصة حب خالدة ووفاء نادر لينبت الامل الكبير.. النهر يجري..!! وعلى حافتيه تبتسم الازهار والاعشاب وتتراقص الاشجار.. كل زهرة نظرة حب..!! كل عشبة تنهيدة ألم وذكرى.. كل شجرة هي أمل يرجى.. الايمان... الأمل... المحبة.. تضع المعجزات... العلامة الغريبة على ذراعي.. وما حدث سر غامض احتفظ به لنفسي...

رام الله، ١٩٨٧/١٠/٣١

المثقفون المصريون يتضامنون مع نازك الملائكة

وقع مات المثقفين المصريين على بيان أعلنوا فيه موقفهم المبدئي مع أشقائهم وزملائهم من المثقفين والمبدعين العراقيين، الذين يتساقطون كل يوم بسبب الحصار الاقتصادي ومنع الدواء والغذاء عنهم وعن شعبهم، وأكدوا على تضامنهم مع الشاعرة الكبيرة نازك الملائكة الرائدة التي أسهمت في المسيرة الابداعية للشعر العربي، والتي تعاني الآن من مرض عضال، ومن نقص الادوية في العراق، وطالب المثقفون في مصر جميع المؤسسات الشعبية والاقليمية والعالمية بالوقوف ضد الحصار، والعمل لاطلاق أرصدة الشعب العراقي المجمدة في بنوك العالم، وارسال المعونات الانسانية الفورية من أدوية وأغذية ومستلزمات طبية ضرورية، عن طريق الهلال الاحمر والصليب الاحمر والمنظمات الانسانية.

قصائد بعنوان

«سأخلع آخر ما يستر الرئتين»

منير ابراهيم

في ظرف لم يكتمل يتطاير مع الذي نحسه ولا نراه حيث لا رؤيا الا ومضة لا تلبث أن تغيب مغيبةً إكتمال القصائد.

* رسالة

كوني مع الليل آهي
واستسلمي في دمي
ربما يشرق القلب
تحت ظلال القمر
هذه رفقة من ربيع
تغني لنا
فما أن تريني صغيراً
أراك فيفشل فيك الكبر!

* رضعة

تحت نصف من الليل
ألقي دمي لدخان السجائر
وتحميلة الروماتزم
وغفوة امرأة
ترضع الطفل نوماً
وتكبو على رضعةٍ
تطيحُ بليل التعب!

* مداوم

ذاك المداوم
وجهه دون دم
إنه من زلم زلمته
حتى لو زج زلمته
في قفاه القدم!

* موعد

هنا يكبر الوقت
أسفةُ ساعتي الواقفة
في اكتئاب النهار
كأني بعينين ترقص
في بحة الموج
تراني أراك
فتصرخ الحانة الجارفة
.....
إنه موعدي يكتمل
في الغروب
والهدوء الجريء
فعيني دون عيونك
عماء .. عماء
عماء بطيء!!

* لها حيث لا..

أنا في انتظارك
مثل الصغار
طروب المساء
كأنك آخر كل نهار
تجيئين مثل حقيقة
لكنها في العيون
حلم!

* زي الى...

لنا لجنة سُميت بالنقابة
سرنا وساروا

ولكنهم وقفوا واستداروا
بنوا موقفاً. ثم نفخوا فطاروا
بتلك الشفاه المدارة
ويال الادارة
أبت أن تطيع
باسم النقابة
يال الغرابة!
يال الغرابة!!

* مجرد خبر

استدرنا له
وقفنا له موقفاً
داسه
وفي المعمعة
كُنا له كادراً منصفاً
ذاك الخفيف
الظريف الظريف
ساء أن يمتطينا
ولما غفي واستراح.
استدار لنا
يتلظى بأليته النباح!

* كان بامكاني

لم يكن بامكاني
أن امتد ليديك
ألقي رأسي بينهما
وأدمع... أغسل دربك
عند باب النهار
وهبتك عيناي
تَعُدُ كلماتك
دموعك حين رمتني
بالوداع
للحظة شعرت
انني أتداخل لجسدك الحاني
أجل
أجل
كان بامكاني!

* متسيب

ذاك المتسيب
المُوَظِفُ بيننا أفعاه
تحمل صدره وقلبه

ورأسه ويداه
قال مرة: أنا سأزين الورق
وأرسم نجمة للعرق
للأقدام التي نهشتها السلالم
للوجوه المنسوجة
من حر وبرد
بدل ذلك سماهم: المتسيبون
إنه السائب المتسيب
أبو السهم
المجبول بالكذب
نسي سبحان الله
نسي أنه جابي مجرب!!!

ملامح عربية على جواد فلسطيني

محمد رشاد محامد

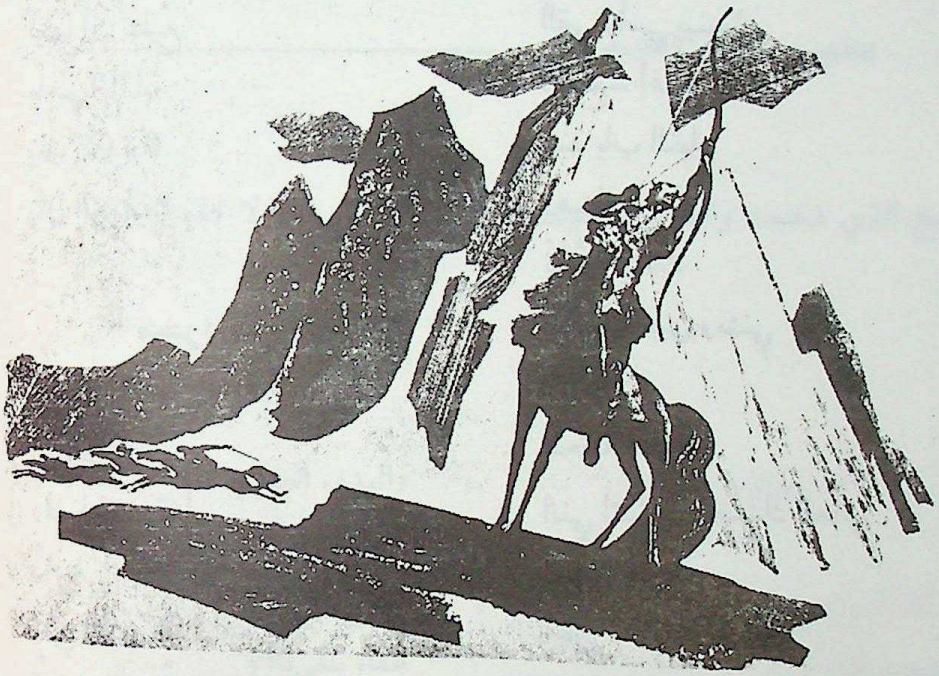

أنا البركان واللهب
أنا الطوفان والغضب
خطوط الكف خارطتي
ألملم فوقها ذاتي وأشرعتي
وأرصفتي ثلوج ذاب أكثرها
رماني العشق درب الوهم معجزتي
أنا اسفنجة وحشية الجسد
أمص براثن الأحقاد في شفتي
شراييني نزيف الحبر في جسدي
كعود الطيب للأنسام رائحتي
أبي مذ كان سيفاً حده الزمن
وأمي الصبر في الاسلاك مرضعتي
أنا قد جئت من فوري مع الارياح دافئة
أنا جرح يذيب البعد أقنعتي
أنا الاثداء تسكب من -
رحيق الضرع ايمان
أنا ذكرى خلال الريح والعمر
أنا لحن بسمع الطفل ميلاد
وأغنية خلال الحقل والبيدر
أنا رمح رديني مات فارسه
على أعتاب كسرى أنو شروان
أنا قلم مدادي المسك والعنبر
أجيد كتابة الاشعار بالمعول
أنا الارياح لا تبقي ولا تذر

بليل الصمت نيران وأهوال
أنا جمر وميضي العشق واللهب
حروف تحرق الافكار معضلتي

أنا طلل وحيد النقش لا يمحي
أنا طفل رماني الظلم للديدان والعتمة
على أبواب جلاد وشيطان
أنا جرح
بقايا نصل سكين يداعب جوفه وهم
أنا جرح مضى شيلوك يقطع لحم
ذاكرتي
لأنيابي عيون خلفها رئتي
وللذكرى نصيب في معادلتي
شبابي فجر المجهول والعتمة
طموحي لسعة الزنبار في شفتي
فنون الحرب أعرفها
وفي الاسياف تاريخي ومعركتي
أنا المجداف والصياد مضطرب
علاني الموج والطوفان والغرق
أنا العقبان في أهدابها شمم

أنا الالحان في سمع الألى صخب
أنا السنجاب في الغابات ملتحم
أنا قيد سلاسله شراييني
وفي زنزانتي إلهام معجزتي
أنا صدر بحاري حرة الجسد
عنيد الموج والشطآن والسحب
دماري ثم أحلامي تصافحني
وجودي مزق التابوت في اللهب
غموضي من غموض الحلم مقتبس

برودي فجر الآمال في الشهب
فراغي من ضجيج البحر يصطخب
وشوقي لحن مذبوح بلا سبب
أنا الملتف بالرايات والكفن
أخط معالم التاريخ من صمتي ومقبرتي

الفريد نوبل

كوّن مخترع الديناميت، الفريد برنار نوبل A. B. NOBEL، ثروة ضخمة من اختراعه هذا ومن المفرقعات شبه الحربية. وعندما توفي كان قد أوقف ثروته وايرادها لخمس جوائز سنوية، احدادها للسلام. وكان الرجل الذي اخترع سلاحاً من أفتك أسلحة الحرب، يأمل أن يساعد باختراعه على استتباب التفاهم الدولي.

كان نوبل سويدياً، ولد في ستوكهولم يوم ٢١ تشرين الأول (أكتوبر) ١٨٣٣، وكان أبوه ايمانويل ينحدر من أسرة فقيرة من الفلاحين، وقد شق طريقه إلى الشهرة كمهندس عسكري. وفي عام ١٨٤٢ أصطحب أسرته إلى روسيا، وهناك بدأ في صناعة الألغام الأرضية والبحرية التي كان يمد بها الحكومة الروسية.

تلقى ألفريد نوبل تعليمه في المنزل على يد مدرسين خصوصيين، مثله في ذلك كمثل أخويه روبرت ولودفيج. وعندما بلغ مرحلة الشباب قضى قرابة عام في الولايات المتحدة يدرس على يد المهندس السويدي جون اريكسون JOHN ERICSSON . وعندما عاد إلى اوروبا بدأ أبحاثه وسرعان ما لمع اسمه بين المخترعين، كما كان له نصيب في مؤسسة البترول التي كان يملكها أخواه، وهما اللذان افتتحا آبار البترول في باكو بجنوب روسيا. وقد اشترك ألفريد نوبل مع والده الذي كان قد عاد هو الآخر الى السويد، في إجراء المفرقعات. وأنشأ الاثنان، الأب والابن، ورشة صغيرة لاجراء أبحاثهما، ولانتاج «النيتروجليسرين» NITRO GLYCERINE ، وكان ذلك في هيلنبرغ HELENBORG بالقرب من ستوكهولم، وكان ألفرد قد اكتشف طريقة مفيدة لتفجير تلك المادة، وحصل لهذا الغرض على براءة اختراع حكومية. وبينما كان الاثنان ذات يوم في ورشتهما وقع حادث مؤسف، ذلك أن انفجاراً في النيتروجليسرين أدى إلى تدمير الورشة، والى مقتل الأخ الأصغر لألفريد وعدد آخر من الرجال. ولم يمض على ذلك الحادث شهر حتى أصيب ايمانويل بالشلل وظل عاجزاً بقية حياته.

اختبر معلوماتك

١- كلمة «المها» تعني: الظبي. أم فرس النهر. أم البقرة الوحشية؟

٢- كلمة «المياس» تعني: الأسد المتبختر. أم الغزال الشارد. أم السنجاب المتسلق؟

٣- كلمة «الينبوت» تعني: المكان المرتفع. أم شجر الخرنوب. ام الارض البعيدة؟

٤- كلمة «النمبرشت» تعني: الاكدر اللون. ام نوع من الشجر. أم ما شوى نصف شيء؟

٥- كلمة «النجيب» تعني: كريم الحسب. ام الشديد الغضب. ام الطويل العنق؟

٦- كلمة «الغلس» تعني: النوم الخفيف. ام العطش الشديد. ام ظلمة آخر الليل؟

٧- كلمة «الفرسخ» تعني: الطويل من الزمان. ام الينبوع الصافي. ام العظام الرقيقة؟

٨- كلمة «الفارع» تعني: الطريق الواضح. ام المرتفع الهيء الحسن. ام الثمر الناضج؟

٩- كلمة «القابوس» تعني: طائر يشبه الحجل. ام النهر المتجمد. ام الرجل الجميل الوجه؟

١٠- كلمة «القبقاب» تعني: الكثير الكلام. ام الضامر الخصر. أم الرجل الشديد البخل؟

أوائل الأشياء

الصبح - أول النهار.
الغسق - أول الليل.
الفاتحة - أول الكتاب.
النعاس - أول النوم.
الطليعة - أول الجيش.
البكر - أول الاولاد.
الباكورة - أول الثمر.

«رجع بخفي حنين»

في أصل هذا المثل خلاف وروايات ذكرها الميداني وغيره بتفصيل، وارجح هذه الاراء وأنسبها -فيما أرى- ان حنيناً اسكافياً من أهل الحيرة فساومه أعرابي في شراء خفين فاختلفا، وأغلظ الأعرابي الكلام للاسكافي فأصر حنين على أن يكيد له فراقبه حتى عرف اتجاه سيره، فسبقه إلى الطريق ثم رمى أحد الخفين، وبعد مسافة طويلة شيئاً ما رمى الاخر، ومكث قريباً منه يترقب، فلما وصل الاعرابي الى مكان الخف الاول رآه وعرفه وقال: لو كان الاخر معه لاخذته، ثم تركه وسار حتى وجد الثاني فأخذه، ثم ترك راحلته في المكان ورجع ليأتي بالأول، فخرج حنين واستاق راحلته بما عليها، وعاد الاعرابي إلى بلده بالخفين فقيل رجع بخفي حنين.

** أقـــوال **

* الحب ليس عاطفة... إنه فن
* التحدث عن الحب هو الحب نفسه
* للعاشق كل الفضائل والنقائص التي تعوز الزوج
* لا يفقد الزوج شيئاً إذا ادعى أنه يصدق زوجته، وحبس لسانه بصبر وأناة، فأشد ما يقلق المرأة الصمت.
* ما يشبه الحب هو دائماً الحب
* الحب كالفطر، على أنواع، ولا ندري إذا كان هذا النوع أو ذاك من الأنواع الجيدة أو السامة الا بعد فوات الأوان.
* تزوج إذا أردت إعجاب النساء.
* زواج الفيلسوف مضحك لأنه يناقض نفسه بنفسه.
* الرجل يخطف أول قبلة، ويطلب الثانية ويقبل الثالثة وعليه أن يتحمل الباقي.
* كل رجل يطلب امرأة تعجب به وامرأة ثانية تعذبه.
* لا تصدق متزوج ولا تكذب أعزب.
* الحياة زينتها الامل ورائحتها الحب.

قول لبيكاسو

إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها بالرسم وجدت الخط الإسلامي قد سبقني إليها

كلمات مضيعة

- الوفاء: صفة يتحلى بها بعض البشر وتتصف بها كل الكلاب.
- الطوفان: يبدأ عندما تدق حماتك باب منزلك.
- الغيرة: جرثومة في قلب كل انسان فاشل.
- المعرفة: كنز يتبع صاحبه أينما ذهب
- الدموع: كلمات رثاء عرفها الانسان.
- السعادة: وردة جميلة مزروعة في بستان الحياة.
- الغرور: مقبرة واسعة وحفرة سحيقة، يزرع فيها المغرور نفسه.
- الاخلاص: شبكة خيوطها الثقة والحب المتبادل.

لو لا..

- لو لا الكتاب: لمات الانسان بحثاً عن صديق وفي.
- لو لا الليل: لما عرفنا قيمة النهار.
- لو لا القبلة: لما عرفنا طعم الشفة.
- لو لا المرأة: لما وجد الرجل.

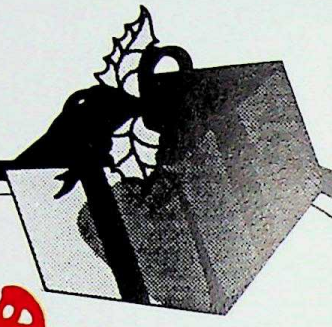

هدية مجانا

لكل تأمين من نوع فريق ثالث

تحصل عليها فوراً

من

شركة المؤسسة العربية للتأمين
المساهمة المحدودة

وجدت لخدمتكم

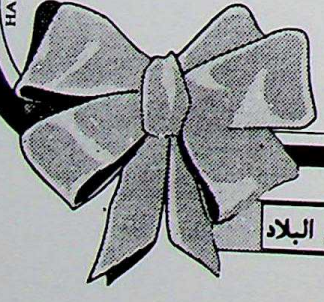

العرض قائم في مكاتب الشركة ووكلائها المعتمدين في جميع انحاء البلاد

HADISOFT 09-371372

من سلڤانا

From Silvana

شركة معامل سلڤانا للشوكولاتة والحلويات المحدودة
رام الله - المنطقة الصناعية - ص.ب ٢٤٩ ت ٩٥٦٤٥٨